وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل : .....

الصراع الموحدي الصليبي في بلاد الأندلس من القرن 6 هـ - 7هـ / 12م - 13م

مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبتين:
شناح فاتن
بغدادي سهيلة

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	حفيظة لعياضي	أستاذ . دكتور	جامعة المسيلة	رئيسا
2	مرزوق بتة	أستاذ تعليم عالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	النذير قوادرية	أستاذ. محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية 2022 /2023

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُلِ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنَ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ "

سورة البقرة الآية 120

شكر وتقدير

إن أول شكر ينبغي علينا أن نوجهه إلى الله رب العالمين، الحمد لله أن وفقنا لأن نصل إلى هذا المستوى من مشوارنا الدراسي نحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

ومن بعده عز وجل أن نتقدم بالشكر والعرفان إلى كافة أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة الذين بفضلهم وبفضل جهودهم كان لنا شرف الوقوف هنا.

ونخص بالذكر والشكر الجزيل بالصدق والامتنان إلى من رأينا فيه نعم الأستاذ هو الدكتور المشرف على هذا العمل المبارك الدكتور الفاضل **بتة مرزوق** ،الذي وجهنا عند الخطأ، وشخصنا عند الصواب، ولسعة صبره معنا على إتمام هذا العمل، فكان لنا خير معين ومرشد، وكان لنا خير ناصح، فكل الشكر موصول إليك أستاذنا ودكتورنا حفظك الله ووفقك لما تحبه وترضاه وسدد خطاك.

كما لا ننسى أيضا إلى كل من وقف بجانبنا وساندنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة صادقة.

ونخص بالذكر إلى كل من مد لنا يد العون لإتمام هذا البحث من الأساتذة الكرام في قسم التاريخ الوسيط، على رأسهم دكاترتنا الكرام : **بركات إسماعيل ولخضر بولطيف**، وإلى كل دكاترتنا الأفاضل والذين كانوا لنا خير معينين.

شكرا لكم جميعا السادة المناقشة جزاكم الله عنا جزاءا في الدنيا طيبا والآخرة مسكا.

إهـــــــــداء

بتوفيق الله لأمني وحفظه لي من كل سوء يصيبني

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون ...

لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق محفوفا بالتسهيلات لكني فعلتها

لمن هي في الصبح بسمتي وفي المساء حيرتي، لمن هي في العين دمعتي وقي القلب بهجتي وفي الظلام شمعتي

أمي الحاجة خيرة رمز الصمود والعطاء

لخالد الذكر أبي الحاج السعيد رحمك الله وأكرم نزلك،

إلى من كللهم الله بالهيبة والوقار أختي: نورة وزوجها الحاج حميد وأولادهم.

إلى باعثة العزم والإرادة المحاربة أختي : مليكة وزوجها محمد وأولادهم.

إلى سندي وعضدي الذرع الواقي، والكنز الباقي إخوتي : يحيى ، فاتح ، بن عودة ، زوجاتهم وأولادهم.

إلى من كانوا ملاذي وملجئي من تذوقت معهم أجمل اللحظات تركن في روحي أثر لا ينسىّ، رفيقات رحلة النجاح:

فاتن، وسام.

إلى من يربطني بهم شعور دافئ أقاوم به برد الحياة، وورود المحبة وعطر الصداقة: حياة، إيمان، أسماء، إيناس

رحاب ، بشرى ، إسمهان ، سارة.

لكل من كان عونا وسندا في هذا الطريق، ممتنة لكم جميعا، ما كنت لأصل لولا فضلكم من بعد الله.

بغدادي سهيلة

إهـــــــــداء

إلى أعز خلق الله سيدنا **محمد صلى الله عليه وسلم**

إلى من جعل الله تحت أقدامها الجنات، إلى من علمتني العطاء بدون انتظار، إلى روح **أمي** الطاهرة

راجية من المولى عز وجل أن يسكنها فردوسه الأعلى.

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من عصر الاشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، أبي الغالي **محمد**.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة، إلى رياحين حياتي أبناء إخوتي : تاج الدين ، محمد الأنس ، نورة جيهان

رحمة، آية.

إلى صديقاتي : سهيلة ، وسام ، سوسو، أمال.

إلى روح صديقتي : بن دحمان حورية ، زغدودي مسعودة، اللهم ارحمهما برحمتك الواسعة.

شناح فاتن

قائمة المختصرات:

ت:	توفي
ج:	جزء
د.س:	دون سنة
د.م:	دون مكان
تح:	تحقيق
تر:	ترجمة
د.ط:	دون طبعة
ص:	صفحة
هـ:	هجري
ط:	طبعة
م:	ميلادي
مج:	مجلد

مقدمـــــــة

مقدمة

يكتسي التاريخ الأندلس أهمية كبيرة في مسار حركة التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط ،لما تميز به من صفحات مشرقة وأحداث بارزة ونكبات وأزمات في أواخر القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر ميلادي ،بحيث ازدادت حدة الصراع مع إشتداد قوة المماليك النصرانية في الأندلس هذا ما هدد الوجود الإسلامي، خاصة لما أُصْبِغَ هذا الصراع بالطابع الديني ،فنشطت الجمعيات العسكرية الدينية التي عُرِفَت بفرسان المعبد والتي إتحدت مع القوى النصرانية وبمباركة ومساعدة بابا الكنيسة ، حملت وشجعت الروح الصليبية وجندت سكان الثغور في شمال بلاد الأندلس، بدأ من تصدع وحدة الدولة المرابطية ،والذي تلى ذلك التمزق السياسي نشوء الدولة الموحدية في المغرب بدعوة من ابن تومرت، على أساس دعوة إصلاحية دينية، لتنتهي بقيام إمبراطورية مؤسسها الفعلي عبد المؤمن بن علي الكومي وأبناؤه من بعده، صانعي أمجاد المغرب والأندلس مصممين على تصدي للعنف النصراني الزاحف على بلاد الأندلس، ليشمل هذا الصراع معارك طاحنة، بين الطرف النصراني والمسلمين، تتضمنها معركتين هامتين في التاريخ الوسيطي وهي معركة الأرك وحصن العقاب، هذه الأخيرة التي مُنِيَ فيها الجيش الموحدي بهزيمة نكراء، نتج عنها إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وإلى الأبد . وقد جاء موضوع دراستنا موسوما بعنوان : الصراع الموحدي الصليبي في بلاد الأندلس من القرن 6هـ إلى القرن 7هـ.

طرح الإشكالية:

وتتمحور الإشكالية التي نطرحها ضمن هذه الدراسة حول الصراع الموحدي الصليبي في بلاد الأندلس في القرنين 6-7 هجريين وذلك لمعرفة **كيف إستطاعت جيوش الموحدية إيقاف الزحف النصراني لشمال بلاد الأندلس؟** وأهم وأبرز المعارك بين الدولة الموحدية و المماليك النصرانية؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات :

1-كيف كانت أوضاع بلاد الأندلس قبيل دخول الموحدين؟

ولأن الدولة الموحدية فكرة دعوية لإبن تومرت في بداية نهوضها فمن هو مؤسسها الحقيقي؟

2- فيما تكمن الأسباب الحقيقية لعبور الموحدين لبلاد الأندلس؟ وماهي خلفيات هذا التوسع؟

3- ماهي أبرز القوى الصليبية الفاعلة في الأندلس في ظل الحكم الموحدي ؟

4-وماهي الجمعيات الدينية العسكرية وكيف كان دورها في تأجيج الصراع الموحدي الصليبي ؟

5-وكيف إنتهت المواجهات الموحدية مع إبن مردنيش ؟

6-وماهي أبرز المعارك التي نتجت عن المواجهة للقوى الصلبية بالأندلس ؟

7-ماهي ظروف بلاد الأندلس بعد إنتكاسة موقعة العقاب؟

خطة البحث:

وقد إعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على خطة تتمثل في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

حيت تضمن مدخل عام : حوصلة عامة للأوضاع الأندلس في نهاية الحكم المرابطين ومراحل قيام الدولة الموحدية .

الفصل الأول: يحمل عنوان، دوافع عبور الموحدين وتوسعاتهم وخلفيات الصراع في الأندلس.

ويندرج تحته ثلاث مباحث كانت بدايتها دوافع عبور إلى الأندلس مبرزا فيها أسباب الحقيقة لهذا العبور.

أما المبحث الثاني هو توسع الموحدي وخلفيات الصراع تضمن مراحل إخضاع الأندلس وصراعاتها مع زعامات المحلية الرافضة للحكم الموحدي .

وبالنسبة المبحث الثالث بعنوان القوى الصليبية الفاعلة في ظل الحكم الموحدي الأندلس إرتأينا إلى ذكر أبرز المماليك المسيطرة في تلك الفترة .

الفصل الثاني :بعنوان الصراع الموحدي النصراني :التجليات والأطوار ، يندرج تحته مبحثين

المبحث الأول تحت عنوان الجمعيات الدينية النصرانية ودرها في تأجيج الصراع ،من خلاله ذكرنا أهم الجماعات الدينية التى ساعدت المماليك النصرانية للتوسع على أراضي ساكنة الأندلس.

المبحث الثاني بعنوان حكم أبي يعقوب يوسف وصراعه مع ابن مردنيش و المماليك النصرانية ودرسنا خلالها إقامته الأمارة بشرق الأندلس وتحالفه مع المماليك النصرانية مع ذكر المعارك التي سبقت معركة الارك المتمثلة في إسترجاع بطليموس وغزوة وبذة وغزوة مدينتي كبيرة وطليطلة وغزوة شنترين.

الفصل الثالث: حمل عنوان المواجهة الموحدية للقوى الصليبية بالأندلس قسمنه إلى مبحثين

المبحث الأول عالجنا فيه معركة الارك من وقائع وسير عملياتها الحربية وخلصنا إلى نتائج على المسلمين والنصارى.

المبحث الثاني عالجنا فيه معركة حصن العقاب من حيث الوقائع وسير عملياتها ونتائجها القريبة المباشرة وبعيدة المدى الغير مباشرة.

ثم أوردنا نظرة عامة للأندلس بعد معركة العقاب.

وفي الأخير وضعنا لهذه الدراسة خاتمة أدرجنا فيها الإستنتاجات العامة ، محاولين الإجابة على الإشكالية الرئيسية للبحث والتساؤلات الفرعية بها ،وأتبعنا الخاتمة بمجموعة من الملاحق إقتبسناها من مختلف المراجع وهي متنوعة من رسوم توضيحية ورسائل بين أمراء وملوك وخرائط تخدم. الدراسة .

الدراسات السابقة :

حسب إطلاعنا وما وصلت إليه أيدينا حول موضوع بحثنا، الصراع الموحدي الصليبي، فقد وقفنا على عدة كتابات مرتبطة بالموضوع من قريب ومن بعيد وتنوعت بين البحوث العلمية الشبيهة لموضوعنا وبين بحوث ركزت على عنصر من عناصر موضوعنا. ،وكان من بين ما إطلعنا عليه رسالة ماجستير بعنوان: علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والمماليك المسيحية في الأندلس لعمر راكة ،وهي دراسة شاملة إستوفت كل الفترات الدولة الموحدية من جانب العلاقات السياسية والعسكرية ، و ما يهمنا في هذه الدراسة أكثر ويخدم موضوع بحثنا، ماتم التطرق إليه في الفصل الثالث، وبالتحديد عند ذكرنا لمعركة الأرك، ونتائج معركة حصن العقاب، ولكن كنوع من الإيجاز .

كما تعد رسالة ماجستير بعنوان: سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، للباحث صديقي عبد الجبار، من أهم الدراسات التي خدمت موضوعنا وقد أفادتنا المذكرة، لاسيما عندما تحدثنا في الفصل الثالث عن نظرة عامة لبلاد الأندلس بعد معركة حصن العقاب، وأفادتنا في سقوط الحواضر الأندلسية .

دراسة ونقد المصادر والمراجع :أن طبيعة الموضوع تفرض على الباحث دراسة مادته العلمية التي كانت مرجعيته الأساسية في البحث وذلك لإثرائه ولإضاحة مدى مصداقيته التاريخية بالتالي كان لزاما علينا الإعتماد على بيبليوغرافيا متنوعة من مصادر ومراجع لبلوغ جادة الصواب أو الجزء منه :

1-كتب التاريخ العام :

أ- **ابن القطان**: ابن الحسن على بن محمد الفاس (ت628هـ/1230م): **نظم الجمان في أخبار الزمان** من المصادر الهامة التي اعتمدت عليها، لمؤلفه يبدأ بسفر بحوادث سنة 508هـ وينتهي بحوادث 533هـ، وقد أفاد في دراسة أحد جوانب دعوة محمد بن تومرت، وبعض معارك الموحدين ضد المرابطين، وما يعاب عليه هو التعصب للمذهب الموحدي حيث حاول ستر عيوبهم وتبرير أعمالهم وهاجم المرابطين وتنكر لهم.

ب–عبد الواحد المراكشي :محي الدين أبو محمد التميمي(ت:النصف الثاني من القرن 7هـ/13م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** يعد الكتاب مصدرا أساسيا لدولة الموحدين التي نشأ المؤلف في كنفها وعاصر الكثير من أحداثها، وعمل كاتبا لبعض ولاة من أبناء عبد المؤمن بن علي، ألفه إستجابة لطلب أحد الأعيان الرؤساء بالمشرق الذي سأله إملاء أوراق، تشتمل على المغرب العربي، فقدم له مقدمة موجزة في تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح العربي إلى آخر عصر الموحدين، فصار كتابه تاريخا عام المغرب والأندلس لا يخلو من قيمة تاريخية هامة في توضيح العديد من جوانب الدراسة خاصة عند الحديث عن سيرتي المنصور والناصر، وثورات بني غانية، إحصاء الغنائم والأسرى غزوة الأرك، رغم أن الكتاب ألف في المشرق بعيدا عن التأثيرات الموحدين، إلا أن المؤلف لم يتخلص من العاطفة التي تدفئ صدره، وميوله الشخصي وتعصبه للمذهب الموحدي مما جعل بعض الأخبار يطغى عليها الجانب الذاتي، أكثر من الرغبة في تقديم الأحداث بشكل موضوعي .كما يفتقر للدقة والوثائق التاريخية .

ج–أبي زرع الفاسي :أبا الحسن بن عبد الله (ت:726هـ/1325م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** يسرد لنا تاريخ المغرب عموما ومدينة فاس خصوصا، يذكر في كتابه الدولة ونسبها وشعبها، قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر في نهاية الكلام عن كل دولة ما حدث في آخر أيامها، يعد من المصادر الهامة حيث أفادوا في تسليط الضوء على أحوال الدولة الموحدية وخلفائها المنصور والناصر ومعاركهم ضد النصارى.

د–إبن خلدون: عبد الرحمان بن محمد أبوزيد ابن خلدون(ت808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عصرهم من ذوي السلطان الأكبر** هو بصفة عامة موسوعة علمية لكل من أراد البحث في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط يعتبر مصدر أساسي في البحث ورافقنا في جميع الفصول تقريبا هذا الإنجاز خاصة الجزء السادس.

تكمن أهمية هذا الكتاب بأن صاحبه تنقل بين إمارات المغرب والأندلس وكان مقررا من بلاطها وبذلك كان شاهد عيان لأحوال الدولة والملوك.

–تسجيل الأحداث بمنتهى الدقة لعل مرجع ذلك قربه من السلطة وتجربه الشخصية في تقلده المناصب السياسية الإدارية بذلك استطاع معرفة الحقائق التاريخية، وخبايا الحكم والسياسية.

2–كتب الجغرافيا:

أ–الشريف الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الهاشمي القريشي(ت559هـ/1166م): **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** سبب التأليف كان بطلب من الملك **روجر** والهدف من الكتاب معرفة الحدود البرية والبحرية

الخاضعة له سياسيا ومدى بعدها وقربها منه، تغطية الجانب البشري عن طريق معرفة أوضاعهم الإجتماعية والثقافية بدراسة الأحوال العمرانية والسياسية، ولم يهدف للوصول لهذه المعرفة من مصادر مكتوبة فقط، بل بالتأكد بالمشاهدة سواء من قبل الإدريسي نفسه أو الرحالة والجغرافيين ما يعاب عليه:

-تقسيم العالم إلى سبعين جزءا، جعل وصف البلد الواحد موزعا في أكثر من جزء خاصة في البلدان ذات المساحات الشاسعة

-إيراد بعض الخرافات والتوسع في نقل الحكايات لا يمكن تصديقها، عن يأجوج ومأجوج.

- إختلاف مصادر الإدريسي بين الشرق والغرب جعله يقع في ورطة إختلاف وحدة المسافة بين الميل العربي والروماني.

ب-ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن محمد أبن عبد الله ابن إدريس(626هـ/1226): **معجم البلدان** يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب الجغرافية عرض فيه المؤلف الأقاليم الجغرافية وما تحتويه من مدن، كما أنه ذكر فيه كثيرا الجوانب الأدبية والتاريخية وتراجم لبعض العلماء لذلك يعتبر معجم البلدان بلا منازع أوسع المالك الجغرافية العربية وأشملها،أكثرها دقة وأصالة لأن ما جاء بعده كان إجترار وتكرار أو إختصار للمواد السابقة.

ج-الحميري: محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:أواخر قرن 9هـ/15م): **الروض المعطار في خبر الأقطار** لا توجد معلومات كافية عن المؤلف هذا الكتاب، وقد عثر ليفي بروفنسال على مخطوطة من هذا الكتاب، أخذ منها مادة خاصة بالأندلس ونشرها في معجم الجليل 1938م بعنوان صفة جزيرة الأندلس، والكتاب يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة والتي يتردد ذكرها في كتب التاريخ الأندلسي، إستفدنا منه بشكل خاص في الوقوف على تفاصيل المعركتين وتخريج بعض أسماء المدن الأندلسية .

3 -كتب الأدبية:

أ-أحمد بن محمد المقري التلمساني (1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الرطيب يعتبر موسوعة، وقد ألف عن الأندلس، يتناول تاريخ الأندلس منذ دخول المسلمين إليها حتى خروجهم، أما الأهمية بالنسبة إلى هذه الدراسة فتبدو في إحتفاظه بمجموعة كبيرة من المواد التاريخية والأدبية وخاصة المتعلقة بأحداث الصراع مع المسيحين.

ب-لسان الدين ابن الخطيب (776هـ/1374م): الأحاطة في أخبار غرناطة يعد موسوعة ثقافية في تاريخ،ساهم فيه بالتعريف والترجمة لمئات العلماء والفقهاء، وقد إستفدنا من هذا الكتاب غي البحث.

4-كتب الطبقات والتراجم:

أ-ابن الابار البلنسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(**659هـ/1260**): **الحلة السيراء** تضمن الكتاب الكثير من الشعر والتاريخ والأدب، وهو يتناول أخبار المغرب والأندلس من الفتح إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي، بشكل كبير من الجزء الثاني الذي ترجم فيه للعديد من شخصيات القرن الخامس/الحادي عشر م، عالج فيه بعض الأحداث بمنهج نقدي أقرب ما يكون إلى المناهج الحديثة الخاصة فيما تعلق بسقوط بلنسية وتكمن القيمة الجليلة للكتاب كونه جاء في الفترة التي سقطت فيها الأندلس.

ب-ابن خلكان:شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربلي(ت:681هـ/1382): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** هو أشهر كتب التراجم التي تضم ترجمة أعلام المسلمين والعرب من الرجال والنساء رتبه على السنين يغطي الحقبة الزمنية من القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري منه وقد أفادنا في التعرف على سيرة المنصور، ضف إلى عرضه بعض التفاصيل الدقيقة حول الأحداث التاريخية التي دخل في إطار الصراع بين المسلمين والنصارى كنت اكتب الأرك والعقاب .

ثانيا: المراجع

- **محمد عبد الله عنان: (ت 1986م)**

أ-دولة الإسلام في الأندلس :موسوعة ضخمة من أشهر كتب عنان، تقع في ثمانية أجزاء تغطي تاريخ دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى السقوط، إلى جانب التمهيد وأحوالها قبل الفتح وخاتمة عن أحوال مسلمي الأندلس بعد سقوطها والجزء الأخير عن الأثار الإسلامية الباقية في إسبانيا والبرتغال، إعتماد فيه على مختلف المصادر الإسلامية المطبوعة وبعضها مخطوطة كانت موجودة أنذاك وبعض للدراسات الأجنبية ساعده في ذلك تحكمه في اللغة الإسبانية، والكتاب في عموما ذو أهمية بالغة للمهتمين بالتاريخ الأندلسي، وقد ساعدنا الجزء الخاص بالموحدين في جل فصول البحث خصوصا في تعليل معركتين الأرك والعقاب .

- **يوسف أشباخ(ت 1882م)**

ب-الأندلس في عهد المرابطين والموحدين :كتاب قام بترجمته محمد عبد الله عنان يقع في جزئين يتناول التاريخ العام المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين، وإعتمدنا في دراستنا على الجزء الثاني كونه يتناول تاريخ الموحدين بشكل موضوعي مفصل وسلس خاصة فيما يتعلق في نتائج المعركتين .

- **عصمت عبد اللطيف دندش :(على قيد الحياة)**

ج–الأندلس في نهاية الحكم المرابطين ومستهل الموحدين الصادر عن دار الغرب الإسلامي في طبعة أنيقة جيدة، يعالج الكتاب حقيقة الأوضاع السياسية والإجتماعية، الإقتصادية بلاد الأندلس بشكل مفصل دقيق من خلال تفتيت الوقائع التاريخية ثم تركيبها بعد جمع شتات الأحداث بمختلف جوانبها بعين ناقدة بالأسماء إلى عدة مصادر متنوعة مخطوطة المطبوعة إستفدنا منه في الفصل التمهيدي في حديثنا عن الأسباب الحقيقية التي أدت أبرز ضعف الدولة المرابطية متقصية الضعف والقوة في فترات حرجة جدا من تاريخ الأندلس.

محمد علي الصلابي : (حيا)

د–تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال الإفريقي: تناول الكاتب الحقبة من تاريخ الإسلام في الشمال الإفريقي بالبحث والتحليل وهذا واضح من خلال حديثه عن دولة الموحدين بشكل مفصل من نشأتها على يد محمد بن تومرت، وتبيان عقيدته ومراحل تطور هذه الدولة ثم الإنهيار والسقوط، وذلك بتبويب منظم الفصول والمباحث وتوثيق المعلومات المستقاة ما يقارب المئة مصدر ومرجع، أفادنا كثيرا في حديثنا حول علاقة الموحدين السياسية مع بني غانية وساعد أيضا في معرفة أحوال نصارى الأندلس الداخلية وعلاقاتها مع بعضها البعض .

هشام أبو رميلة :

هـ–علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس :ضم هذا الأخير معلومات هامة عن العلاقات الموحدين السياسية والإجتماعية، كما درس الغزوات والمعارك التي جرت بين الموحدين وكل مملكة نصرانية على حدا بإضافة إلى علاقة كل منهما بالأخرى من خلال توضيح دراسة الأحوال الداخلية المماليك النصرانية.

أسباب إختيار الموضوع : كان إختيارنا لهذا الموضوع جملة من الأسباب منها ذاتية وأخرى موضوعية .

– رغبتنا الشخصية في دراسة تاريخ الأندلس ومعرفة الدور الذي لعبته الدولة الموحدية في صد لحملات الصليبية على مسلمي بلاد الأندلس.

– إستبيان ومحاولة الكشف عن الظروف والملابسات التاريخية التي أحاطت بصراع النصراني الموحدي وإنعكاساتها على الأندلس، وما موقف الدولة الموحدية وجهودها في إجهاض المحاولات المسيحية والبابوية، لإفشال مشروع إنهاء الوجود الإسلامي، فقد قام الموحدون في عهد عبد المؤمن بن علي وأبي يعقوب يوسف في إسترجاع كل المناطق التي كانت خاضعة للمسلمين في العهد المرابطي والتي بضعف هذه الأخيرة، إستطاع مماليك النصارى إسترجاعها .

-إضافة إلى رغبتنا في التأصيل التاريخي لموضوع بحثنا.

- تسليط الضوء على حلقة من حلقات الصراع النصراني التي غفلت عنها الدراسات السابقة، في طبيعة الدينية للصراع النصراني الذي يوضح الحقد الصليبي الدفين للاسلام والمسلمين ، وهذا ما ترجمته كتب التاريخ عن الفترات الأخيرة بعد سقوط الحواضر الإسلامية إنتهاءا بسقوط غرناطة ومعاناة إنتهاكات التي مورست على ساكنة الأندلس من إضطهاد وقتل وتنكيل .

- كشف عن السر الذي جعل قوى النصرانية ينجحون في تجسيد حركة الاسترداد، عكس ماآلت إليه من حالة مزية للمسلمين بعد التفكك وصراعات والذي نتج عنه إنهاء الوجود الإسلامي في كل بلاد الأندلس.

صعوبات الدراسة:

ككل بحث علمي فقد واجهتنا جملة من الصعوبات من بينها نذكر:

صعوبة بناء خطة بناءة تحيط بالموضوع من جميع جوانبه يراعي فيها التسلسل الزماني.

اتساع الموضوع وتشعبه، والذي يشمل تأسيس دولة في منطقة وتوسعاتها، ثم انتقالها إلى عدوة أخرى وصراعه مع زعامات محلية ومع مماليك إسلامية وأخرى نصرانية، وتداخل كل هذه العناصر مع بعضها صعب علينا الفصل في الأحداث المهمة وأقل أهمية، جعلنا ندخل في حيرة في ذكر حدث مهم في مقابل تهمل ذكر أكثر أهمية لتشابكها وترابطها وتداخلها .

كما شكل تداخل المادة العلمية صعوبة لغة المصادر ،واختلاف الروايات وتضاربها من مؤرخ لآخر هذا ما دعى بنا إلى التحقيق والتركيز في عملية جمع المادة العلمية.

المنهج المتبع: أن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي، الذي فرضته علينا طبيعة الموضوع لسرد الأحداث وتحليلها مدعما بآلية الوصف التي ساعدتنا في سرد مجريات المعارك واستعراضنا جل الأحداث التاريخية.

الشكر:

في الختام نأمل أن تحقق دراستنا الهدف وننصف حقبة زمنية عصيبة على المسلمين، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في هذا العمل وأخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور بتة مرزوق، كما نشكر جميع الأساتذة الكرام اللذين كان لنا الشرف في أن أشرفوا على دفعتنا، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل الأصدقاء دفعتني.

مدخل عام :

الأندلس في ظل حكم الموحدين 541 هـ – 580 هـ / 1146 م – 1184 م

المبحث الأول : اوضاع بلاد الأندلس في نهاية حكم المرابطين وبداية الموحدين.

المبحث الثاني : قيام الدولة الموحدية.

تمهيد

تظافرت عوامل متعددة في إضعاف دولة المرابطين سواء في شمال إفريقيا أو الأندلس، ولعل ضعف الأمراء الذين تولوا الحكم بعد علي ابن يوسف بن تاشفين كان في مقدمة الأسباب ،بالإضافة إلى ظهور نشاط الموحدين في عدوة المغرب، حيث ظهرت على مسرح الأحداث شخصية ابن تومرت الداعية ديني الذي منطلقه" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، قام بحركة تجديدية سرت في أعماق نفوس كثيرة، سقطت على إثرها دولة المرابطين وأسفرت عن قيام دولة من أعظم الدول الإسلامية وأوسعها رقعة، وأعظمها قوة وسلطانا وهي دولة الموحدين.

المبحث الأول: أوضاع بلاد الأندلس في نهاية حكم المرابطي وقيام الدولة الموحدية.

المطلب الأول: أوضاع بلاد الأندلس في نهاية حكم المرابطي.

مرت بلاد الأندلس في نهاية الحكم المرابطي بأشد الفترات التاريخية الحرجة، حيث أصبحت البلاد في حالة فوضى واضطراب كبيرة جدا.

يصف المراكشي أحوال بلاد الأندلس في أواخر عهد الأمير علي بن يوسف بقوله :"اختلت أحوال وجزيرة الأندلس اختلالا مفرطا، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم إلى الدعة وإيثارهم الراحة وطاعتهم النساء[1]، فهانوا على أهل الجزيرة، وقلوا في أعينهم واجترأ عليهم العدو واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم "[2]

ويصف هذه الأحوال أيضا ابن الخطيب بقوله:''اضطرب أمر المرابطين بالأندلس وضعفوا وكثرت الفتن والثوار، واغتنم العدو فاستولى على البلاد، واشتهر ظهور الدولة الموحدية بالمغرب، فتعلقت أمال المسلمين بهم واستصراخهم الناس وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين"[3]. ومن هنا نطرح التساؤل التالي، فما هي الأوضاع بلاد الأندلس في مستهل ظهور الدولة الموحدية؟

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: خليل عمران المنصور، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419ه-1998م، ص146.

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص146.

[3] ابن الخطيب السلماني، تاريخ إسبانية الإسلامية، أعمال الأعلام من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تح:ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة ،ط1، 2004، ص 265.

1 –الأوضاع السياسية:

اضطربت الأحوال السياسية بوفاة الأمير علي بن يوسف وتولية إبنه الأمير تاشفين بن علي، حيث ظهر خلل كبير في إصدار الأوامر إلى الجند أو الرعية ويؤكد ابن السماك العاملي ذلك حينما قال:" والفساد الأكبر على المرابطين نسخ الأمر بأمر غيره، فكانوا يكتبون اليوم شيئا وغدا ينسخونه بغيره فيسخر منهم وجنودهم ورعاياهم"[1].

فساد بعض عمال المرابطين بالأندلس و بانصرافهم إلى حياة اللهو والترف ،[2]و تعاملهم بالرشوة واستيلائهم على أموال الناس بالباطل، وكذلك فرضهم للضرائب الباهظة على الرعية،[3] وقد أدى هذا إلى سخط الرعية من ولاة المرابطين، فأتبعوا بذلك أي ثائر يثور عليهم وساندوه للتخلص من جبروتهم،[4]و يصف ابن الكردبوس تلك الأوضاع بقوله: "سما المنكر بنفسه وأناخ الجور بكلكله، ضرب الباطل بجرانه ".وانتهى ذلك بمساندة الرعية لثورتي المريدين والقضاة.

وظهور فكرة العصبية والوحدة لدى فريق كبير من أبناء الأمة الأندلسية وكان هذا الفريق يرى في المرابطين بعد أن تبددت آثار المديح والإعجاب الأولى التي تلت نصر الزلاقة، ثم نصر أقليش وإفراغه أنهم أجانب متغلبين يستظلون بفكرة الجهاد[5]ليبسطوا سلطانهم على الأمة الأندلسية التي لم تنس أنها فقدت استقلالها وحريتها وكانت ثورة قرطبة على الأمير المرابطي ابن روادة سنة 514هـ/1120م ،[6] أول تعبير مادي لهذا الشعور القومي ضد تعسف الحكم المرابطي، ثم تعاظم هذا الشعور بالخصوص في أواخر عهد الأمير علي بن يوسف[7].

---

[1]ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر أخبار مراكشية، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2010، ص 203.
[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص146.
[3]دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثانية (510ه-546ه/1116م-1151م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1988، ص45.
[4]ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس، هو قطعة من الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ،د:ط،1971، ص124.
[5]محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط1، 1990م ،ص305.
[6]ابن الأثير، الكامل في تاريخ من سنة 489ه حتى سنة 521ه تح: محمد يوسف الدقاق،مج9،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 4، 1979،ص ص187-188.وانظر أيضا: ابن السماك ،المصدر السابق ،ص ص 86-87.
[7]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ص305.

كما تميز حكام المرابطين بسياسة التسامح الشديد، بل التهاون في القضاء على مثيري الشغب والفتن والإخلال بأمن الدولة بحيث لم يعرف عنهم أنهم أمروا بقتل مشاغب إلا في الحالات النادرة وأقصى عقاب عندهم هو الاعتقال لفترة زمنية طويلة[1].

إضافة إلى أنه ظهر الاستبداد في السلطة على الرعية من قبل الحكام والولاة المرابطين في أواخر عهد الأمير علي بن يوسف،[2]والهزائم المتعددة من قبل النصارى منها موقعة قتندة في سنة 514هـ/1120م موقعة القليعة سنة 523هـ/1129م والتي مني فيها المسلمون بهزيمة نكراء[3].

2-**الأوضاع العسكرية**: تعددت الأسباب التي أدت في آخر المطاف إلى نهاية حكم المرابطين لبلاد الأندلس، وزادت الأمور اضطرابا خاصة بعد استدعاء الأمير تاشفين بن علي إلى المغرب سنة 532هـ/1138م، [4]وسحب عدد كبير من القوات المرابطية معه إلى المغرب لمحاربة الموحدين الذين استفحل أمرهم كثيرا،[5] وقد استغل النصارى هذه الأوضاع فقاموا بالهجوم على المدن والقلاع والحصون المجاورة لبلادهم واستولوا عليها[6]، بالخصوص بعد وفاة الأمير تاشفين بن علي سنة 539هـ/1144م[7].

إضافة إلى اندلاع الثورات والفتن الداخلية بالأندلس وأخطرها على الإطلاق ثورة المريدين* التي ظهرت بالأندلس بزعامة أبو قاسم بن قسي*، ثم شملت جميع شبه الجزيرة الأندلسية، وكان ظهورها حينما بدأت الدولة المرابطية في المغرب بالانهيار، وذلك بمقتل أمير تاشفين بن علي في موقعة وهران في 27 رمضان سنة 539هـ/23

---

[1]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 35.

[2]مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، تص محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، د:ط، د:ت، ص673.

[3]راغب سرحان، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج2، إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة ، ط1 ،2011، ص530.

[4]ابن الخطيب، المصدر السابق، ص265.

[5]ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي ،ج9،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط1 ، ،1990ص256.

[6]ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس ، دار المنصورة للطباعة والوراقة ،الرباط ،د:ط ، 1972 ،ص164.

[7]ابن السماك المصدر السابق،ص203.

* يطلق إسم المريدين في ذلك العصر على أتباع شيوخ الجماعات الصوفية التي كثرت آنذاك بجميع بلاد الأندلس ، من أشهر زعماء المريدين شيوخها ابو العباس بن العريف وأبي القاسم بن قس وأبي الحكم بن برجان وغيرهم ، ولم يكتف المريدين بالزهد والعبادة بل تحولت بعض فريقهم إلى جماعات من المحاربين الذين يطالبون الملك .يحاربوا بذلك المرابطين ، وتمكنوا من الاستيلاء على الكثير من مدن بلاد الأندلس ،ولم يتجه أحد منهم إلى الجهاد ضد النصارى مع إتساع ميدانه إذ ذاك .وكانت نهايتهم بقضاء الموحدين عليهم .(أنظر : ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج 2، تح :حسين مؤنس ، دار المعارف ،القاهرة ، ط 2 ،1985،ص204 ، وأنظر أيضا :ابن الخطيب المصدر السابق ،ص ص 248-249).

* هو أبو قاسم أحمد بن الحسين بن قسي، يرجع نسبه إلى أصل نصراني، فهو من المولدين، نشأ في أحواز مدينة شلب، إشتغل في بداية أمره مشرفا على الأعمال المخزنية (المالية او الحكومية) ، ثم إعتنق طرائق الصوفية وتبحر فيها حتى غدا من شيوخها، له كتاب " خلع النعلين"، قتله أهل شلب في جمادى الأولى سنة 546ه/اوت 1151م.(أنظر: ابن الأبار، المصدر السابق ،مج2 ،ص 197،أنظر : ابن الخطيب ،المصدر السابق ،ص 248.)

مارس 1145م، [1] واستفحل أمر هذه الثورة العارمة بالأندلس ولم يتمكن المرابطين من إخضاعها، وقد استطاع الكثير من شيوخ المريدين وزعمائهم الاستيلاء على الكثير من مدن بلاد الأندلس.[2]

من أخطر الثورات التي أحدثت بالأندلس ضد المرابطين أيضا ثورة القضاة،[3] وكان أخطرها على الإطلاق ثورة القاضي أبي جعفر بن حمدين الذي بايعه الناس في الخامس من شهر رمضان عام 539هـ/1مارس1145م،[4] بالإمارة فسكن قصر الإمارة بقرطبة وتلقب بالأمير المسلمين وناصر الدين، [5]والمنصور بالله، [6]وقد استمرت أيامه إحدى عشر شهرا إلى أن قضى عليه والي المرابطين يحي بن غانية[7].

ومن بين القضاة الذين ثاروا على المرابطين واستولوا على مجموعة من المدن وأعلنوا أنفسهم أمراء عليها القاضي أبو الحكم بن حسون بمالقة الذي أعلن الثورة على المرابطين والدعوة لنفسه في 13رمضان 539هـ /9مارس 1145م، فاستولى عليها وكان له صولات وجولات مع المرابطين وعندما اشتد عليه الأمر استنجد بالقشتاليين فثارت عليه الرعية وتآمروا عليه وحاصروه في قصبة المدينة وانتهى أمره في يوم السبت 11ربيع الأول عام 547هـ/15جوان 1152م[8] .

وثار قضاة آخرون في مدن كثيرة بالأندلس منهم القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز ببلنسية والقاضي أبي عبد الله ابن أبي جعفر الخشني بمرسية، والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى ب غرناطة وغيرهم، وقد عان المرابطون كثيرا من ثورة هؤلاء القضاة خاصة بعد أن لجأ أكثرهم إلى النصارى لمعاونتهم في الاستلاء على المدن التي ثاروا بها،وقد عرف هذا العهد بعصر الطوائف الثاني والذي يعد من أكثر العهود اضطرابا وفوضى بالأندلس[9].

---

[1]ابن الخطيب ،المصدر السابق ، ص248.
[2]ابن السماك العاملي ، المصدر السابق ،ص205.
[3] محمد عنان، المرجع السابق، ص ص318-319،و أنظر أيضا :عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص، ص 95-98.
[4]. ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص166،وأنظر أيضا : ابن الخطيب، المصدر السابق ،ص248 ؛ ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص 205.
[5].ابن الخطيب، المصدر السابق ، ص253.
[6]دندش عصمت عبد اللطيف ،المرجع السابق ،ص77.
[7] ابن الخطيب ، المصدر السابق ،ص ص 253-254.
[8] ابن الخطيب، المصدر نفسه ،ص ص 254-255.
[9] محمد عنان ،المرجع السابق ، ص ص 312-313، أنظر أيضا: دندش عصمت عبد اللطيف ،المرجع السابق، ص ص76-77 .

كما عجز المرابطين في آخر أيامهم عن الجهاد في الأندلس بالخصوص بعد وفاة القادة الكبار الجيوش المرابطية مثل ابن فاطمة وابن عائشة ويسر بن أبي بكر اللمتوني والامير مزدلي ومحمد بن الحاج وغيرهم فلم يستطع أن يخلفوا جيل جديد له مبادئ وقيم هؤلاء القادة الكبار في حب الجهاد والتضحية في سبيل الله[1].

3-الأوضاع الاقتصادية: أثرت الثورات التي إندلعت في الأندلس على اقتصاديات الأندلس، لما خلفوه من دمار في القرى العامرة والمدن ،وشردوا أهلها وانعكس هذا على الاقتصاد ،فتعطلت التجارة وقلت الزراعة والصناعة، وذلك نتيجة لإحباس المطر عدة سنوات وحلول الجفاف والقحط بالأندلس والمغرب ،وزاد من حدة الأزمة أن أسراب الجراد هاجمت ما بقي من الأخضر على وجه البلاد،[2] مما هيأ الظروف لانتشار مختلف الأوبئة ببيت كثير من السكان ووقعت هذه الأزمة في الفترة الممتدة ما بين أعوام 524هـ/ 1129م و 530هـ- 1135م[3].

إضافة إلى أن الحرب المستمرة بين المرابطين والموحدين منذ 516هـ-1122م ، وجعل المرابطين يستنفذون موارده القليلة وإحتياطاتهم في إعداد الجيش والإمداد، لقلة الثروة الزراعية والحيوانية بسبب الحروب تلك[4].

4-الأوضاع الدينية:

إن انحراف بعض الفقهاء والقضاة على الجادة وطريق الحق ،وفشلهم في أن يكونوا قدوة حسنة حيث ظهر للعيان طمعهم للسلطان والأموال والجاه ،مستغلين مساندة أمراء المرابطين لهم ،وقد ثارت الرعية كثيرا عليهم فعمت الفوضى والاضطرابات بسبب ذلك في الأندلس ومن أمثلة ذلك سخط الرعية على القضاة ،وقتل أحد العوام لقاضي قرطبة **أحمد بن خلف التجيبي** في صلاة الجمعة سنة 529هـ/1134م وفي نفس السنة ثارت العامة على قاضي إشبيلية **أبي بن العربي** وهذا عندما أحدث عقوبات جديدة على الجناة ،كذلك ثورة أهل قرطبة على القاضي **أبو الوليد بن رشد** في حدود سنة 535هـ/1140م[5].

---

[1] علي محمد الصلابي ،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ،دار المعرفة ،بيروت،ط3 ،2009م، ص ص 235-236.
[2] ابن القطان ، المصدر السابق ،ج9، ص ص242-243.
[3] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص235.
[4] عقيلة مراجع الغناي، قيام دولة الموحدين، منشورات الجامعية، قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط2 ،2008م،ص ص52-53.
[5] ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،(قسم الموحدين) ،تح: محمد الكتاني و محمد تاويت وآخرون ، ج4، دار الغرب الاسلامي ،بيروت،د:ط،1985 ، ص93.

وإحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي 503هـ/1109م بعد أن أفتى فقهاء قرطبة وعلى رأسهم **ابن حمدين** بضرورة إحراقه[1]، وقد استغل ابن تومرت هذا الأمر بتأجيج الرعية على المرابطين واتهمهم بالتعصب الشديد للمذهب المالكي ،والضيق الفكري وتعطيل باب الاجتهاد ويذكر **ابن القطان** أن إحراق كتاب الغزالي كان سببا في نهاية حكم المرابطين الذين وصفهم بالجهل، حيث قال :كان إحراق هؤلاء الجهلة[2]، لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببا لزوال ملكهم وإنتشار سلكهم، وإستئصال شأفتهم على يد الأمير العزيز القائم بالحق (يقصد ابن تومرت)[3].

وفي السياق نفسه يورد لنا المؤرخين مثل أخر يصرح فيه عن سبب آخر من أسباب الفساد الذي عم البلاد بتفشي المناكر والخمر الذي أصبح متفشيا بين أوساط العامة إذ يصور لنا ذلك في رسالة بعث بها أحد القضاة قائلا :" **وقد إستحل حرامها، وإستهل مرامها، وغدت في كل منزل قوتا، وبدت كؤوسها درا يحمل يقوتا**"[4].

[1]ابن القطان، المصدر السابق،ج6،ص79،أنظر ايضا :ابن السماك العاملي ،المصدر السابق ، ص 172.
[2]ابن القطان ، المصدر نفسه، ج9، ص71 ، انظر أيضا : يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ،تر:محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط2 ،1996،ص 38.
[3]ابن القطان ، المصدر نفسه، ج9، ص ص71-72.
[4] محمد المكي: وثائق تاريخية جديدة عن الدولة المرابطية وأيامهم في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد السابع والثامن، مدريد ، د:ط،1960،1959، ص189.

المبحث الثاني: قيام الدولة الموحدية:541هـ-558هـ/1121م-1163م

خلفت دولة المرابطين في حكم المغرب والأندلس* دولة مغربية مجاهدة أخرى، وهي دولة الموحدين، قامت هذه الدولة الجديدة وفق تعاليم تومرتية مهداوية طابعها الجهاد والاتساع وهدفها إقامة دولة ذات رقعة جغرافية شاسعة ترأسها خلافة دينية شرعية خاصة بالموحدين[1]. فمن هو صاحب الدعوة؟ وكيف تأسست هذه الدولة ومن هو مؤسسها الحقيقي؟

1. دعوة المهدي ابن تومرت : 515هـ-524هـ /1121م-1130م

قامت دعوة الموحدين على أساس دعوة دينية إصلاحية شعارها الأمر بالمعروف النهي عن المنكر ،هدفها تحقيق خلافة إسلامية شاملة[2]، فكان مؤسس هذه الدعوة **المهدي ابن تومرت**،* وهذا الرجل من أهل السوس،* ومولود بها بضيعة تعرف **بإيجلي اورغان**،* وهو من قبيلة **هرغة**،* فخذ من المصامدة،لقبته أخته بتومرت والتي تعني الأكسية الجلدية ويقال له **أمغار** والتي تعني العالم أو الفقيه،أما المهدي فلقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم له ،ولد بموضع يسمى **نومكران**[3] سنة 484هـ/1092م على وجه القريب وقد رجل إلى المشرق سنة 500هـ/ 1115م في طلب العلم،[4] التقى خلالها بعدد كبير من العلماء أمثال **أبي حامد الغزالي** ولكن هناك من شك في لقائه للغزالي وينفي إجتماعه به[5].

---

* الأندلس: يراد بهذا اللفظ إسبانيا الإسلامية "اشتقته العرب من كلمة وأندلوس نسبة إلى قبائل القوطية الوندالية ذات الأصول الجرمانية التي اجتاحت جنوب أوروبا خلال القرن 5م (أنظر: أبو قاسم ابن عبيد ابن حرداذبة، المسالك والمماليك، مطبعة بريل، ليدن، د:ط ، 1889م ،ص ص 80-90).

[1]أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف الإسكندرية ،الاسكندرية،ط1، 2000، ص141.

[2]هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، عمان ،الاردن ،ط1 ،1984، ص 5.

* المهدي ابن تومرت: محمد بن عبد الله المعروف ابن تومرت ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تنامين عدنان بن سفيان بن صفوان ابن جابر بن يحي بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تح: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت ،د:ط،1994، ص ص45-46.

* السوس: بلاد السوس هي ترادونت أهلها أخلاط من البربر. (أنظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د:ط،دت، ص228)

وفي الحموي: السوس بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية وقيام السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى كورة أخرى مدينتها الطرفة، (أنظر شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج 3، دار صادر، بيروت ،د:ط،1977، ص281).

* ايجلي أورغان: بإيجلي أو ايكلي وهي قرية تقع فوق سطح جبل "أيجليز" أطلق عليها الموحدون هذه التسمية سكانها في شمال الأطلسي الصغار (أنظر عبد الله على علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن على، وزارة الثقافة،الجزائر،د:ط،2007، ص44).

* هرغة: هي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب يقال أنها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن النصير (أنظر: أحمد مختار العبادي ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية ،د:ط ،2008، ص 245 ،أنظر :ابن خلكان ،المصدر السابق، ص55).

[3]ابن القطان، المصدر السابق، ص ص88-90.

[4]عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، محمد سعيد العريان ،محمد العربي العلمي، مكتبة الاستقامة ، القاهرة ، ط1 ، 1949 ، ص 178.

[5]عبد الواحد دنون طه، دراسة في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، المدار الإسلامي، بيروت، ط1،2004، ص206.

إلا أنه يرى ابن خلكان أنه إجتمع به وحج وأقام بمكة وحصل طرف صالح من الشريعة[1].

ثم عاد ابن تومرت إلى بلاد المغرب، وذلك بعدما نفيه متولي الإسكندرية بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي عودته إلى طرابلس والمهدية وتونس و قسنطينة ثم بجاية وكان يقيم في كل مدينة يمر بها مدة.

أقام ابن تومرت ببجاية ودرس العلم والوعظ، واجتمع عليه الناس ومالت إليه القلوب فلقي نفس المصير ،ونزل بضيعة تعرف ب**ملالة،**[*] وبها لقيه **عبد المؤمن بن علي،**[*] الذي كان متوجها إلى المشرق في طلب العلم،[2] وكعادة الروايات التي تؤرخ الموحدين فقد اختلف المؤرخون في كيفية التي مر بها اللقاء بين ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي ،إلا أن الروايات تجمع على أن مكان التقائهم هو **ملالة.**

أقام بها أشهر ثم رحل إلى المغرب الأقصى ورافقه **عبد الواحد الشرقي،**[*] و عبد المؤمن ابن علي ،فخرجوا من مدينة تلمسان وأقاموا مسجد يعرف **بالعباد** ثم نزلوا **وجدات** واتجهوا إلى فاس فنزل المعصوم بمسجد **طريانة،**[*] وكان يقرئ فيه العلم،[3] ثم إنتقل إلى مكناسة ثم إلى سلا واصل مهمته في تدريس العلوم لبعض طلبة ثم رحل مع عبد المؤمن ابن علي إلى مراكش عاصمة المرابطين وكعادته يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[4]إلى ان وصلت جرأة ابن تومرت حيث وبخ أخت الأمير علي ابن يوسف بن تاشفين في موكبها ومعها الجواري الحسان وهن مسفرات ، إنتقد الأمير علي ابن يوسف بن تاشفين،[5] كما بلغه أن يتحدث في تغير الدولة فأحضره وأحضر الفقهاء يناظرون[6].

---

[1]ابن خلكان، المصدر السابق، ص46.

[*] ملالة: ضيعة على فرسخ من بجاية، وبها سكن بنو ريا كل من قبائل صنهاجة.(أنظر: عبد الله علي علام، المرجع السابق ،ص 57).

[*] عبد المؤمن ابن علي: ينتمي عبد المؤمن ابن علي إلى قبيلة كومية التي تعتبر إحدى بطون بني فاتن الذين يجتمعون بدورهم مع قبيلة زناتة في ضرى ابن زجيك من سلسلة البربر البتر. ولد عبد المؤمن بن علي في قرية صغيرة تسمى "تاجرا" تقع بالقرب من مدينة "ندرومه" وعلى بعد ثلاثة أميال من مرسى هنين. مولده في آخر من سنة 487ه في أيام يوسف ابن تاشفين، كان وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة 558هـ. (أنظر صالح بوقربة ، عبد المؤمن ابن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،د:ط،1991، ص5) .

[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص246-247.

[*] عبد الواحد الشرقي: يعد من بين الأوائل الذين صاحبوه وأمه راهل قدمت له دابة ليتنقل عليها ابن تومرت ويحمل كتبه ومتاعه المتواضع. (أنظر :أمبروسيو هوليثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن النجاح الجديدة ، دار البيضاء ،المغرب ،ط2004،1، ص 48.

[*] مسجد طريانة: هو المسجد الواقع مدخل درب ابن سالم من الطابعة الكبرى بفاس. (أنظر:ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص173).

[3]البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تح عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية، الجزائر، ط1، 1986 ، ص43.

[4]عبد الواحد دنون طه، المرجع السابق، ص208.

[5]علي بن يوسف بن تاشفين (477ه-537ه/1014م-1043)،كنيته أبو الحسن وهو أمير المسلمين بمراكش وثاني ملوك الملثمين المرابطين، ولد بسبتة وبويع بعد وفاة أبيه سنة 500ه بعهد منه، وقد ملك مالم يملكه أبوه لأن البلاد كانت ساكنة والأموال وفيرة، جاز إلى الأندلس سنة 583 ه مجاهدا في جيوش تزيد عن 100فارس وفتح العديد من حصونها، دامت خلافته 32سنة ،7أشهر. (أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 120).

[6]ابن خلكان، المصدر السابق، ص ص49-50.

فكان بينهم **مالك بن وهيب**،* وكانت له بعض المعارف الفلسفية والفلكية وبالتالي كان قادرا على فهم ما أثاره ابن تومرت ومقارعته فيه، وقال في شأنه ل**علي ابن يوسف** أنه رجل الدرهم المربع ،وأضاف بأنه من الأفضل أن يضع السلاسل في رجليه حتى لا يسمع له طبول الحرب، فيسجن هو ورفاقه لإتقاء شره ،خير من تركه خارجا وآنذاك يضيع ثروته كلها في مواجهته،[1] فخرج المهدي مسرعا متخفيا حتى بلغ تينملل سنة 514هـ /1121م .

فر إليها وألف عقيدته التوحيدية باللسان البربري ،فانتشرت دعوته بين القبائل ولما استوثق من قوته أخذ يبشر بفكرة المهدي ، وأقتنعوا به أصحابه، فبويع ابن تومرت يوم الجمعة 14 رمضان سنة 515هـ/1121م تحت شجرة الخروب ،وأول من بايعه أصحابه العشرة وذلك بعد أن كانت خطبته التي ذكرها ابن القطان :"**الحمد لله على سيدنا المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا... وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى وزمانه آخر الزمان ،واسمه إسم النبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه النبي(صل الله عليه وسلم) وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم**"[2].

وبايعوه على أنه المهدي المنتظر* والإمام المعصوم، ثم بايعوه من بعدهم خمسون رجلا فسموهم أهل الخمسين* ثم سبعين رجلا فسموهم أهل السبعين،* وكانت هذه الطبقات أخلص أنصار المهدي بالإضافة إلى الطبقات الأخرى،[3] فلقبوه المهدي القائم بأمر الله ، كما كان يلقب بالإمام،[4] وكان يسمي اتباعه بالمؤمنين والموحدين كما أنه كان رجل سياسة ودين في آن واحد .

* مالك بن وهيب: من مواليد إشبيلية، استدعاه علي بن يوسف إلى مراكش حيث عينه وزير ومشار خاص. (أنظر : أمبروسيو، المرجع السابق، ص55.)

[1] أمبروسيو ، المرجع نفسه، ص55.

[2] ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 124-125.

* المهدي المنتظر: هو رجل من أهل النبوة يخرج في آخر الزمان حسب نظرية أصحاب المهدوية يقال إنه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا . (أنظر: أبو الحسن الخنيزري، الدعوة الإسلامية وحدة أهل السنة والإمامة، تح: محمد جواد مغنية، ج2، مطبعة الإقبال، بيروت ،ط 1 ،1956، ص 340.

* أهل الخمسين: هو مجلس يشتمل على خمسين شخص يمثلون مختلف القبائل منهم ستة من هرغة وأربعة عشر من تينملل وثلاثة من هفتانة وإثنان من جنفسية وأربعة من صنهاجة وثلاثة من همكورة وواحد من سائر القبائل وخمسة من الغرباء ويضاف إليهم العشرة وسلف ذكرهم. (أنظر: عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، مصر، ط 1 ،1983،ص116).

* أهل السبعين: هو مجلس يشتمل على سبعين رجلا وأنه يضم زيادة على الخمسين السابقين عشرين من ممثلي القبائل. (أنظر: عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 116) .

[3] محمد عنان ،المرجع السابق ،ص ص 173-174.

[4] علي محمد الصلابي ،صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ،ج2، مؤسسة إقرا،القاهرة،ط1،د:ت، ص 478.(أنظر أيضا: عبد الرحمان ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي :خليل شحاتة، مر: سهيل زكار ،ج6،دار الفكر ،لبنان، ط4 ، 2000 ،ص 302.

في سنة 516هـ /1122م بدأت مواجهة الموحدين ،فذكر البيدق لنا تسع غزوات،[1] كانت كلها ضد المرابطين، إلا واحدة منها ،وعي غزوة السابعة ،فقد كانت لقبيلة **هسكورة،*** وكان من أبرز هذه الوقائع في مقاتلة المرابطين واقعتان ،الأولى نشبت بين المرابطين أو الحشم حسبما ينعتهم ابن القطان وبين الموحدين في بلدة **تاودرات*** **وكانت معركة** عنيفة هزم فيها الموحدون. وفي معظمهم أو قتلوا جميعا حسبما يروي ابن القطان .ومشيت الموقعة الثانية في **آنسا** ،وكانت الدائرة في هذه المعركة على الموحدين ،فقتلت منهم جملة كبيرة .أما غزوة **هسكورة** و لأنها كانت من القبائل المتخلفة عن بيعة المهدي والاعتراف بطاعته وفي هذه الغزوة إشترك المهدي بنفسه في القتال وأصيب بجراح وأسرع أنصاره بحمله وإنقاذه،[2] وإنهزم فيها المجسمون[3].

وفي سنة 518هـ/1124م غادر المهدي إنجليز بعد أن أقام فيها ثلاثة أعوام وثار مع أصحابه إلى تينملل وذلك بعدما أتاه رسل أهل تينملل بطاعتهم ولما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح، ففعلوا ذلك عدة أيام ثم أمر أصحابه أن يقتلوهم وكان عدد القتلى 15000قتيل[4].

في سنة 519هـ/1125م قرر المهدي التوقف عن عملياته والتفرغ لتنظيم أتباعه تنظيما محكما والتخلص من الذين لا يثق بوفائهم له، وسميت هذه بعملية **التمييز**[5].

في سنة 524هـ /1125م جهز المهدي جيشا يبلغ **أربعون ألف** وجعل عليهم **الونشريس** وثار معهم عبد المؤمن ابن علي فنزل **مراكش،**[6] ومن المعارك الحاسمة التي دارت خلال فترة الحصار، الموقعة التي خرج فيها أمير المسلمين علي ابن يوسف لفك الحصار عن عاصمته، ولكنه لم يوقف وتشتت شمل جيشه، والحدث الثاني هو **موقعة البستان أو البحيرة**[7].

---

[1]البيدق، المصدر السابق، ص ص53-57.

*هسكورة: هي قبيلة من قبائل البرانس مساكنهم ببلاد المغرب، يقال لهم برنس بن بر. (انظر: القلقشندي، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصرية، مصر،ط1991،3، ص، ص290-292.

* تاودرات: هي بلدة بالمغرب الأقصى (السوس)هي مدينة بناها المرابطون بالجنوب تنسب الى قبيلة كانت تسكنها بادئ الأمر تسمى تاودة (انظر :محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص76) .

[2]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ع3، ع2، ق3، ص180.

[3]سميت الغزوة الخامسة عند البيدق ،(أنظر :البيدق ،المصدر السابق ، ص 5) .

[4]ابن الأثير، المصدر السابق،مج9، ص 197.

[5]رشيد بورويبة، ابن تومرت، تر: عبد الحميد حاجيات، كنوز النشر والتوزيع، الجزائر ، ط 1 ،2004، ص79.

[6]ابن الأثير، المصدر السابق،مج9،ص197.

[7]علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص445.

"هزمونا بالعشر ونجا الموحدون ومات من مات وإفترق الجيش"،[1] وتاريخ المعركة 2 جمادى الأول عام 524هـ /1130م[2].

فخرج جيش الموحدون إلى مدينة مراكش في **أربعين ألف** موضع البحيرة يقع في ظاهر مراكش بقيادة **محمد البشير** فخرجت إليهم جيوش المرابطين بقيادة **الزبير بن علي بن يوسف** من باب **إيلان** ونزل المرابطون قريبا من معسكر الموحدين، فدعاهم عبد المؤمن بن علي إلى دعوة ابن تومرت، وحاول قائد المرابطين أن يحذر عبد المؤمن من عاقبة ابن تومرت، وإنتهى بهزيمة الموحدين ،فقتل فيها قائدها البشير ،كما خسر المرابطون فيها أكثر صحابة المهدي العشرة، حيث يصرح **البيدق**: "هزمونا بالعشر ونجا الموحدون ومات من مات وافترق الجيش" ،[3] فالمهدي ابن تومرت كان يفضل عبد المؤمن عن أتباعه الآخرين .

بحيث يقول البيدق فأسرعت حتى وصلت إلى المعصوم، فأعلمته فقال لي :"عبد المؤمن في الحياة "فقلت: نعم.[4]

قد تأثر ابن تومرت من جراء ما أصاب جيشه من الهزيمة نكراء، فإشتد مرضه* فتوفي في شهر رمضان 524هـ/1130م،[5] ويذكر الزركشي أنه توفي 13رمضان سنة524هـ[6].

وقال ابن أبي الدينار أنها كانت في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة[7].

وجاء في نظم الجمان أنها كانت يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام أربع وعشرين وخمسمائة ودفن في مدينة تينملل[8].

---

[1]ابن الأثير، المصدر السابق، ص200.
[2]أمبروسيو، المرجع السابق، ص80.
[3]عبد الله علام، المرجع السابق،ص 79.(أنظر أيضا :ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص 200).
[4]عبد الله علام ،المرجع نفسه، ص79.
[5]مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح :سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ،1979، ص117.
*في قضية وفاة ابن تومرت ، الروايات تختلف في اليوم وتتفق في السنة والشهر.(يذكر ابي زرع بأنه توفي: 25رمضان 524ه، أنظر: ابي زرع ،المصدر السابق ،ص180،بإستثناء ابن خلدون: حدده سنة 523ه/1128م،أنظر:ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج6،ص305) .
[6]الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تح :محمد ناضور، المكتبة العتيقة ،تونس،ط2، 1966،ص 262.
[7]ابن أبي الدينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة دولة التونسية، تونس،ط 1 ،1986،ص109.
[8]ابن القطان، المصدر السابق، ص167.

2 – تأسيس الدولة الموحدية: 525هـ–541هـ/1130م –1147م

لقد قام المهدي بثورة سياسية أثمرت بقيام الدولة الموحدية والتي عمرت قرن ونصف من الزمن، إمتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا ومن الأندلس شمالا إلى قلب الصحراء جنوبا حكمها **أربعة عشر أميرا** [1].

بدأت بمرحلة عبد المؤمن ابن علي 524 هـ–558هـ /1130م 1163م، وتحققت تحت قيادة تلميذ المفضل لابن تومرت وهو عبد المؤمن ابن علي ويذكر البيدق أن الخليفة بويع يوم السبت من شهر رمضان 524هـ /31 اوت 1130م [2]وكانت تسمى بالبيعة الخاصة[3] لان موت ابن تومرت ظل في الخفاء أكثر من سنتين ثم بويع عبد المؤمن بيعة عامة في 20ربيع الأول سنة 526هـ– 527هـ/1132م–1133م، بجامع **تينملل** وأول من بايعه أصحاب المهدي ثم أهل الخمسين ثم كافة الموحدين ولم يختلف عن بيعته أحد منهم[4].

إشتهر عبد المؤمن بكنيته المعروفة بأبو محمد ولقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين،[5] وسماه ابن تومرت سراج الموحدين[6].

أما من ناحية العلمية فقد كان متعدد الجوانب العبقرية وقد إهتم كثيرا بالعلم والعلماء إلى جانب إهتمامه بالجيش وإعداده وتنظيم الخطط وابتكار الأسلحة وتظهر قدراته العلمية في أنه تخرج على يد محمد بن تومرت حافظ للحديث الشريف عالما لا دخيل عليه، متمكنا في علم أصول الدين، ومتفننا في الجدل ذو حظ كبير في جميع المعارف والعلوم[7].

ففي الظروف الحالكة بالفتنة تولى عبد المؤمن بن علي قيادة الموحدين، فقد كان عليه أن يعيد الثقة إلى نفوس الموحدين ، وان يعيد تنظيم صفوفهم، وإعتزم في مواصلة الجهاد ضد المرابطين[8].

فسار عبد المؤمن إلى ناحية **تازجورت** سنة 526 هـ /1132م وهزم حامية المرابطين فيها وقتل قائدها،[9] ثم هاجم **وادي درعة**،[*] فكان عبد المؤمن يحارب المرابطين في منطقة السوس فترة طويلة، ولكن يغلب على تلك

---

[1]عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص ص377-378.
[2]البيدق، المصدر السابق، ص65.
[3]ابن القطان، المصدر السابق، ص200.
[4]ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 184.
[5]لسان الدين ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، تص البشير الفورتي، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط 1، 1911 ،ص107.
[6]البيدق، المصدر السابق، ص 16.
[7]الغناي عقيلة، المرجع السابق، ص286 .
[8]علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، ص452.
[9]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ع3، ص225.

الحروب أنها قبلية لا ترقى إلى مستوى المعارك المنظمة ،وهي أقرب إلى حرب العصابات ويبدوا أن الدولة المرابطية لم تكن تنظر إلى حركة الموحدين نظرة تخوف ،ولم تدرك أنها خطر يهدد كيانها ولاسيما بعد التحقت بهم الهزيمة الساحقة في البحيرة[1].وكل هذه الأمور جعلت الدولة المرابطية،لا تفكر بصورة حاسمة في سحق الموحدين دفعة واحدة فكانت تكتفي بإرسال السرايا الصغيرة، لتتعقب عبد المؤمن بن علي في منطقة السوس، ومكث بها تقريبا سنة 534هـ.

وهكذا ظل عبد المؤمن بن علي ينشر أمر الموحدين ويراوغ سرايا المرابطين في السوس، ثم وسط ثم الشمال حتى قوي نفوذه.

ثم توسع على حساب الأراضي المجاورة له بالمغرب الأقصى، فسيطر على تادلا،* سنة526هـ،[2] ثم على تارودانت* وايجلي سنة 529هـ[3].ثم توجه إلى جبال غمارة فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة، وأقام عندهم مدة وبقي عبد المؤمن يبارح الجبال،[4] وبعدها بسنتين أي 537هـ، توفي علي ابن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين لخلفه إبنه الأمير تاشفين،[5] الذي دخل في حروب طويلة مع عبد المؤمن ،الذي استطاع بدوره دخول تلمسان بعد محاصرته لها،وقد دخلها دون مقاومة أهلها، فاتجه إلى وهران ثم غادر إليها الأمير المرابطي. وفي أثناء محاولته الفرار–اي الأمير المرابطي تاشفين تعثر من فرسه من حافة الجبل وسقط ومات 539 هـ/1146م[6].

بعد فتح تلمسان إتجه عبد المؤمن إلى فاس التي لم يفتحها. إلا بعد حصار دام **تسعة أشهر** وبعدها سار إلى مكناسة،* التي حصارها مدة فطلب أهلها الامان فأجابهم بذلك ثم اتجه إلى سلا وفتحها وكل ذلك سنة 540هـ[7].

---

* وادي درعة: بينها وبين سجلماسة ثلاث مراحل كبار ومن درعة إلى السوس أربعة أيام، وهي ليست مدينة يحيطها السور وإنما قرى متصلة وبيوت متقاربة ومزارع كثيرة وبها أخلاط من البربر.(أنظر :الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص ص226-227) .

[1]عبد الله علام، المرجع السابق، ص110.(أنظر أيضا مراجع عقيلة غناي، المرجع السابق،ص300).

* تادلا: مدينة ازلية قديمة بني فيها المرابطون حصنا منيعا. (أنظر :الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط 1،ط2، 1984،1975، ص206).

[2]ابن خلدون، المصدر السابق ، مج6، ص306.

* تارودنت: قرية كبيرة على واد ماسة وهي أكبر بلاد الله لقصب السكر (الحميري، المصدر السابق، ص ص 211-212.)

[3]ابن القطان، المصدر السابق، ص237.

[4]النويري، نهاية الارب في فنون الأدب،ج24،تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية ،بيروت، د:ط، د:ت، ص160.

[5]ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 247.

[6]ابن أبي زرع، المصدر السابق ،ص 188.

* مكناسة الزيتون: هي أربعة مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، (مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،د:ط، د:ت،ص 187).

[7]النويري، المصدر السابق، ص ص160-161.

في الوقت نفسه أعلن قائد الأسطول المرابطي **علي بن عيسى بن ميمون** ولاءه للموحدين، كما دخلت مدينة سبتة،* في طاعتهم[1].

بعدها سار عبد المؤمن إلى مراكش بقيادة أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني لعزو قبائل برغواطة النازلة من مدينة أزمور، فأخضعها لأمره وزحف بعدها الموحدون شطر مراكش سنة الفاتح محرم 541هـ /13 يونيو 1146م،[2] وقد خدمتهم وظروف كثيرة في عملية الحصار ،حيث كان أمير المرابطين **أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين** صبيا، وكان شعور العام بأن مصير الدولة المرابطية أصبح مقضيا[3].

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وباقي المناطق اتجه إلى مراكش عاصمة المرابطين وقاعدة حكمهم سنة 541هـ بعد ان دخلها بمساعدة الجنود المسيحين، وفيها قتل **أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين** آخر خلفاء المرابطين وبموته بسط عبد المؤمن سلطانه على المرابطين،[4] بعدها واصل عبد المؤمن توسعاته فدخل سجلماسة* وذلك سنة 543هـ [5].

بعدما فرغ من المغرب الأقصى، اتجه صوب المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، فدخل مليانة ثم فتح الجزائر التي دخلها صلحا،[6] ثم أخذ قسنطينة وبجاية وذلك سنة 547هـ -1152م[7] .وقد دخل بجاية دون مقاومة وطلب ملكها الأمان ،وملك عبد المؤمن جميع البلاد ،ويحي بن عبد العزيز ملك بجاية[8].

بعدها إستنجد أهل المهدية، فتوجه عبد المؤمن نحو تونس لتخليصهم من النورمانديين وكان ذلك سنة 555هـ-1160م[9].

---

* سبتة: مدينة ساحلية على شاطئ البحر، تقع عربي مدينة الحسيمة ،خربت ولم يبق منها إلا بعض الأطلال ،أمامها جزيرة صغيرة تسمى باسمها تذكر مصادر تاريخية أخرى أن هذه المدينة عبارة عن مرفأ يقع على مضيق جبل طارق ،وهي ضفة البحر الرومي وهو بحر الزقاق الداخل من بحر المحيط وهي طرف من الأرض الداخل من الغرب إلى الشرق ،ضيق جدا والبحر المحيط بها شرقا وشمالا لا قبلة ،ولو شاء سكانها من ناحية الشمال فتكون جزيرة منقطعة وهي مدينة كبيرة ومصورة البناء ،بناها عبد الرحمان بن ناصر الدين ،لقد لعبت المدينة دورا هاما في تاريخ المغرب الإسلامي .(انظر: أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان ،تح محمود آغا بوعياد، موفم للنشر ،الجزائر، د:ط ،1975،ص 286.)

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ع3،ص259.

[2]محمد عنان ،المرجع نفسه، ص 260.

[3]عبد الله علام، المرجع السابق،ص347 .

[4]ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج4،ص ص 25-27.

* سجلماسة: أعظم مدن المغرب وهي على طريق الصحراء ، بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين بنيت سنة (140ه-757م) على يد مدرار بن عبد الله. (أنظر: مجهول الاستبصار، ص ص199-200، أنظر : ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص188).

[5]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص188.

[6]عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،د:ط ،2010، ص 40.

[7]مجهول، رسائل موحدة من إنشاء كتاب الدولة المومنية ، ج10، اعتنى واصدرها : ليفي بروفنسال ، المطبعة الاقتصادية، الرباط ،1941 ،د:ط، ص،ص 17-22.

[8]النويري، المصدر السابق، ص166.

[9]الزركشي، المصدر السابق ، ص ص12-13.

ثم توجهت أنظار الموحدين إلى الأندلس، بعدما اختلت أحوال الأندلس في أواخر عهد المرابطين، واستقل كل حاكم بمنطقة وظلت فقط **غرناطة وإشبيلية على** حكم المرابطين،[1] ولما انتشرت دعوة الموحدين طلب الكثير من أعيان الأندلس طاعة للموحدين، وكانت إشبيلية أولى مدينة بايعت الموحدين[2].

توفي عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ-1163، وتولى بعده إبنه أبي يعقوب يوسف الخلافة وأبناؤه الذين حكموا بعده، فهم من سيكمل فتح الأندلس[3] . فما هي دوافع عبور الموحدين إلى الأندلس وكيف كانت خلفيات الصراع في ظل وتوسعاتهم في بلاد الأندلس؟

[1]ابن عذارى، المصدر السابق ،ص ص 277-278.
[2]ابن عذارى، المصدر نفسه، ص ص281-282.
[3]السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية ،د:ط،2010 ، ص ص713-714.

الفصل الأول:

دوافع عبور الموحدين لبلاد الأندلس وتوسعاتهم وصراعهم مع الزعامات المحلية

المبحث الأول: دوافع عبور الموحدين وتوسعاتهم وخلفيات الصراع في الأندلس.

المبحث الثاني: توسعاتهم وخلفيات الصراع في الأندلس.

المبحث الأول: دوافع عبور الموحدين وتوسعاتهم وخلفيات الصراع في الأندلس

المطلب الأول: دوافع عبور الموحدين لبلاد الأندلس

نجح الموحدون في إسقاط دولة المرابطين بعد سلسلة طويلة من الصراع المرير، استخدم فيه الطرفان مختلف الخطط ضد بعضهما البعض، إذ أن خطط الموحدين كانت أحكم من خطط المرابطين، فقد قضوا على اقتصاديات الدولة المرابطية، وهذا الوضع شجع النصارى على تشديد الضغط على المرابطين لتحويل المعركة لصالحهم.

بعد مصرع تاشفين وانتشار الفوضى في الأندلس، أعطى أكبر حافز للعناصر الثائرة في هذه الآونة، لكي تتصل بالموحدين وخاصة أن النصارى تكالبوا على الأندلس، فعبر عدد من الثوار إلى العدوة، فطلبوا من عبد المؤمن العون فأجابهم،[1]وأرسل بعض جيوشه إلى الأندلس ليمهد الطريق لسيطرة عليها.

ومن أوائل المتصلين بعبد المؤمن بن علي قائد الأسطول في قادس **علي بن عيسى بن ميمون،** قَدِمَ على عبد المؤمن بن علي أثناء حصاره لفاس في أوائل 510هـ/1145 م وقَدَّمَ إليه طاعته ودعاه إلى الأندلس وخطب بجامع قادس، فكانت أول خطبة بجزيرة الأندلس[2].

ولاشك أن إنضمام **ابن ميمون قائد** أسطول المرابطين إلى الموحدين يعد من أهم الأحداث التي خدمت الموحدين وعاونتهم في عبوره الأندلس.

وأثناء حصار **مراكش** 541هـ / 1146م، ولقد عبد المؤمن بن علي عدد من زعماء الأندلس الثائرين به، منهم **أبا الغمر بن عزون** زعيم شريش ،**أخيل بن إدريس الرندي** الثائر في **رندة** [3].

كما وفد **أبو الحسن صاحب الصلاة، وأبو بكر بن شجرة،** وولده **الباجي** و **الهوازني،**[4] **و أبي بكر بن العربي، والخطيب أبو عمر بن حجاج ،وأبو بكر الجد ،وأبو الحسن الزهري، ومحمد بن زاهد ،ومحمد بن القاضي شريح، وعبد العزيز الصدفي، و علي السيد** وغير هؤلاء[5].

---

[1]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص103-104.

[2]نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت ،ط 1 ،1998، ص317، انظر أيضا :ابن خلدون، العبر، ج6، ص 233.

[3]ابن عذارى، المصدر السابق،ص27.

[4]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق،ص104.

[5] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، محمد بشار العواد، ج3، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1 ، 2013، ص ص 112-113.

من الذين طلبوا العون العسكري من الموحدين، القاضي **بن حمدين** زعيم الثورة في **قرطبة، فبلغه** بيعة أهل قرطبة وطلب منه إعانته[1]، كما حث **أحمد بن قسي** الثائر في **غربي الأندلس "عبد المؤمن"** على العبور إلى الأندلس لإخضاع المرابطين وحتى بقية الثوار،[2] عقب خلعه من إمارة شلب وميرتلة على يد خصمه **سيد راي بن وزير**، وكان الذي مهد لهذا اللقاء وعاون **ابن قسي** على عبور إلى الأندلس **علي بن عيسى بن ميمون**.

فقد كانت لابن قسي اتصالات من قبل بالموحدين، حيث وصل رسول من **ابن قسي** إلى عبد المؤمن أثناء حصاره تلمسان، غير أن عبد المؤمن تجاهل هذه الاتصالات، وأهمل الرسول بسبب نعت ابن قسي نفسه بالمهدي في رسالته، ولما لمسه من تعاليه في الخطاب عليه فلم يجاوبه[3].

وهناك دافع آخر لعبور الموحدين إلى بلاد الأندلس وهو تحقيق هدفهم الخاص بإقامة وحدة إسلامية شاملة تحت راية خلافتهم[4].

فبلاد الأندلس تعتبر المجال الطبيعي لتوسيع الدولة شمالا، بالإضافة إلى أن الموحدين كفروا كل من لم يعتنق مذهبهم في التوحيد فأحلوا قتاله وسفك دمه إلى أن يعتنق مذهبهم وينضوي تحت لوائه[5].

رأى الموحدين أن المسارعة في بسط نفوذهم على بلاد الأندلس حماية لهم من السقوط بأيدي المماليك النصرانية مما جعل أقدر وأقرب على جهاد النصارى وتوفير الأمن والأمان للمسلمين، هذا بالإضافة إلى بسط نفوذهم على الأندلس سيقضى على مخاوف الموحدين من إحتمال عبور القادة والجند المرابطين من بلاد الأندلس إلى المغرب لإثارة القلائل، فقد أخذ الموحدون يبعثون بجيوشهم إلى الأندلس قبل احتلال مراكش وقبل تثبيت إنتصاراتهم في بلاد المغرب[6].

---

[1]عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق1، ص322.
[2]محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه ، ص ص310-311.
[3]ابن الخطيب، المصدر السابق، ص254.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ص112.
[5]الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصر و محمد الناصر ، ج2، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب، د:ط،1954 ، ص،ص 83-103.
[6]عبد الله علام، المرجع السابق،ص 186.

المبحث الثاني: توسع الموحدي وخلفيات الصراع في بلاد الأندلس

في أوائل سنة 541هـ-1146م على الموحدون إلى الأندلس في ثلاث جيوش يتكون الأول من **عشرة آلاف فارس وعشرين ألف راجل** بقيادة براز **بن محمد المسوفي**، والثاني بقيادة **موسى بن سعيد**، أما الثالث فكان قائده عمر **بن صالح الصنهاجي**، وقد أمر عبد المؤمن هذه الجيوش بالعبور إلى الأندلس وقتال كل من يرفض إعلان ولائه والطاعة الموحدين[1].

إستولت هذه الجيوش على مدينة **طريف**،* **الجزيرة الخضراء**،* **وشريش**،*مدينة **أبو الغمر بن عزون** حليف الموحدين الذي أقروه على حكمها بعد إعلانه الولاء والطاعة، فإنظم إليهم بفرسانه لذلك حفظ الموحدون هذا الصنيع لأهل شريش فأمنوهم على أملاكهم وأطلقوا عليهم إسم السابقون الأولون[2].

عند بلوغ الجيوش الموحدية **مدينة لبلة**، أعلن حاكمها **يوسف بن أحمد البطروجي**،* الولاء والطاعة للموحدين، ثم دخلوا حصن **طلبيرة**،* وسيطروا على **بطليوس**،* **وميرتلة**،* **شلب**،* أما مدينة **باجة**،* فقد أعلن صاحبها **سيد راي بن الوزير**،* الولاء وطاعة، وبعد ذلك وبمساعدة بعض الثوار على المرابطين أمثال البطروجي وابن الوزير.

---

[1]ابن خلدون، المصدر السابق ، مج6، ص234.

*طريف: هي على البحر في أول المجاري المسمى بالزقاق، (أنظر : الشريف الإدريسي، المصدر السابق،ص10).

*الجزيرة الخضراء: مدينة متحضرة بينها وبين سبتة مجار البحر، (أنظر : الشريف الإدريسي ، المصدر نفسه، ص176).

*شريش: من كور شذونة بالأندلس، وهي على مقربة من البحر، (أنظر الحميري، المصدر السابق،ص340،أنظر أيضا: الإدريسي، المصدر السابق، ص 257).

[2]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 122-123.

*يوسف بن احمد البطروجي : ثائر من ثوار الأندلس بعد إنهيار سلطان المرابطين ويلاحظ أن أبوه كان ممن يشتغل بالعلم الشرعي خاصة فن القراءات، لذا إبنه أخذ خطه من العلم، لما انهار المرابطون في الأندلس أخذ نصيبه من الثورة،(أنظر: ابن الابار، المصدر السابق ،ج2،ص325).

*طلبيرة، مدينة بالأندلس على ضفاف نهر تاجة وفي سفوح الجبال تنتشر حولها مطاحن الحبوب على الماء، وهي أقصى ثغور المسلمين ومنها يدخل إلى بلاد النصارى،(أنظر :الحميري، المصدر السابق، ص 395).

*بطليوس:مدينة جليلة بالأندلس ببسط الأرض،(أنظر: الإدريسي ،المصدر السابق،ص181).

*ميرتلة: مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة قريبة من شاطئ البحر، وهو مرسى هاشم،(انظر: الحميري، المصدر السابق، ص569).

*شلب: مدينة تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي غربي جنوب باجة وشمال شنتمرية عليها سور حصين،(انظر: الحميري، المصدر السابق ،ص ص106-107).

*باجة: من أقدم مدن الأندلس وأولها إختطاطا، تبعد عن قرطبة حوالي 100فراسيخ وهي تقع بين مدينتي شلب ويابرة، وهي حاليا من مدن الجنوب البرتغالي، تبعد عن لشبونة ب 154كلم، وإليها ينسب عبد الملك ابن صاحب الصلاة،(أنظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة على المستضعفين وبمن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين - تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ،تح :عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1985،1، ص289).

*سيد راي بن الوزير: كان أميرا بغرب الأندلس بعد إنهيار سلطان المرابطين، كما تغلب على ابن قسي لكنه دخل في الدعوة الموحدية وشارك بنفسه ورجاله في حصار إشبيلية وقتال المرابطين،(أنظر : ابن الابار، المصدر السابق، ج2، ص ص 309-310).

حاصرت القوات الموحدية مدينة إشبيلية أكبر مدن غربي الأندلس، وتم غزوها في **شعبان 541هـ / يناير 1147م** عنوة،[1] تجدر الإشارة هنا أن القاضي **أبا** بكر بن العربي المعافري،* قائد وفدا إلى المغرب، وقابل الخليفة الموحدي "**عبد المؤمن** "، وقدم له بيعة أهل إشبيلية، فقبلها منه وأكرمه ومن معه[2].

بعد فترة وجيزة ثار أهل إشبيلية على الموحدين بسبب سوء معاملة قائدي الحامية الموحدية **عيسى و عبد العزيز** أخوي **ابن تومرت**، حيث هاجما والي **لبلة** يوسف بن أحمد البطروجي، الذي إتصل بالمرابطين لدعمه على قتال الموحدين، هزت هذه الحادثة ثقة الأندلسيين في الموحدين وأدت إلى خروج بعضهم على الطاعة،[3] ولعل سبب هذا الخروج عن طاعة الموحدين أن له علاقة مباشرة بالأوضاع في المغرب، فقد كانت الثورات تشتد على عبد المؤمن حتى كادت أن تعصف بسلطانه[4].

فقد إستبد **أحمد بن قسي** بشلب و **علي بن عيسى بن ميمون** بجزيرة قادس، و **محمد بن علي الحجام** ببطليوس، ولم يبقى سوى **أبو الغمر بن عزون** صاحب شريش، الذي كان له دور كبير في إعادة سيادة الموحدين على المناطق الثائرة، وذلك حين قام بتسهيل مرور الجيش الذي بعثه عبد المؤمن إلى الأندلس بعد إسترداد الجزيرة الخضراء من المرابطين،[5] هذا الجيش الذي كان بقيادة **يوسف بن سلمان** إستطاع القضاء على الثوار وإعادة المناطق التي ثاروا بها إلى طاعة الموحدين بما في ذلك إشبيلية[6].

وبوجود **يحي بن غانية** في قرطبة والتي تعتبر هذه الأخيرة من المدن وسط الأندلس الأكثر إمتناعا للوجود الموحدي، ولكن نقض ملك قشتالة إتفاقه مع إبن غانية، حين إستولى على مدينة **جيان**،*جعلت ابن غانية يعقد إتفاقا مع الموحدين ويسلمهم مدينتي **قرطبة و قرمونة**،*مقابل الامان[1].

---

[1]الناصري، المصدر السابق ، ص 105.

*ابي بكر ابن العربي : هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربي المعافري ولد سنة 568ه /1175م، رحل إلى بلاد المشرق فلقي صفوة العلماء آنذاك مثل أبي حامد الغزالي وأبي بكر الطرطوشي وابن الفرات الدمشقي تعلم الفنون والعلوم والآداب رجع إلى الأندلس واشتغل بالقضاء وأهم تلاميذه القاضي عياض،(أنظر: القاضي عياض، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح ماهر زوهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1 ،1982، ص،ص27-30).

[2]الزركشي، المصدر السابق،ص6، ابن أبي الدينار ،المرجع السابق،ص110.

[3]أمبروسيو هويثي ميرندا، المرجع السابق،ص145.

[4]ميرندا ، المرجع نفسه، ص145.

[5]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 134.

[6]عبد الله علام، المرجع السابق، ص 184.

*جيان: تقع جنوبي شرقي مدينة قرطبة وهي على نهر الوادي الكبير في المنحدر الشرقي بجبل كور، موقعها حصين بينها وبين يابسة 20ميلا، وهي حصينة كثيرا، وبها أزيد من3آلاف قرية بريل فيها دود الحرير،(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص183).

*قرمونة: تقع شرق إشبيلية، وهي مدينة كبيرة تقع في سفح جبل ولها سور حصين،(انظر: الحميري، المصدر نفسه، ص461).

بعد مرور سنوات تمكن الموحدون من تثبيت حكمهم في بلاد الأندلس خلالها قرروا إستكمال إخضاع بقية أنحاء الأندلس ففي سنة 547هـ/1252م دخلوا مالقة،* غرناطة،* مع مدينة أنقيرة،[2] ولم يبق في بلاد وسط الأندلس سوى مدينة **ألمرية**،*التي كانت بأيدي النصارى منذ سنة 542 هـ/1147م،[3]ولذلك قام إبن الخليفة عبد المؤمن السيد أبو سعيد والي غرناطة مدعما بقوة أندلسية بقيادة أحمد بن ملحان وقوة بحرية من سبتة بقيادة عبد الله بن سلمان بمهاجمة **ألمرية**، من اجل استردادها ونجح الموحدون في دخول المرية أخر 552هـ/1157م وتوفي على إثرها ألفونسو ملك قشتالة،[4]وقد إستحسن عبد المؤمن بن علي وراء أن يرسل أشخاص يثق بهم ويأتمنهم على المنطقة فبعث بولده أبي يعقوب يوسف إلى الأندلس،في جماعة من كبار قادتهم ليكونوا تحت إمرة أبي يعقوب[5] .

[1]الناصري، المصدر السابق، ج2، ص105.

*مالقة: ثغر هام على شاطئ البحر المتوسط في جنوب شرقي الأندلس على مقربة من الجزيرة الخضراء وجبل طارق، ومالقة في تقسيم الإداري الإسباني الجديد مديرية من مديرية منطقة الأندلس،(أنظر : عبد الله علام، المرجع السابق ،ص 163).

*غرناطة: تقع جنوب مدينة جيان وشمال مالقة،(انظر: عبد الله عنان، المرجع السابق، ص22).

[2]الناصري، المصدر السابق، ص 105.

*ألمرية: تقع على البحر المتوسط جنوب شرقي الأندلس، بناها عبد الرحمان الناصري الأموي سنة 344ه /955 م،(انظر: الياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: محمد أمين الخانجي ، ج6، مطبعة السعادة ، مصر، ط1 ، 1906 ،ص119).

[3]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص210-211.

[4]عصمت عبد اللطيف دندش ،المرجع السابق ، ص118.

[5]روجي أبي تورنو ،حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12-13 ،تح: أمين الطيبي ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،د:ط،1982،ص53.

المبحث الثاني: القوى الصليبية الفاعلة في عهد الحكم الموحدي للأندلس

بعد وفاة ألفونسو المحارب مللك الارغون إثر هزيمته في موقعة إفراغه سنة 528هـ/1134م،تحولت زعامة المماليك المسيحية بالأندلس إلى ملك قشتالة ألفونسو ريموندیس (ألفونسو السابع)، الذي لقب بلقب القيصر في اجتماع عقد في مدينة ليون 529هـ/1135م، وقد حضرهذا الاجتماع أكابر الاشراف ورجال الدين من جميع أنحاء قشتالة وملك نافارا وسفراء قطلونية وأراغون والبرتغال[1].

وقد اشتهر هذا الإجتماع بما صدر فيه من قرارات، وكان أهمها قرار يخص حركة الاسترداد المسيحي بالأندلس وهو إنشاء نوع من الجند الاحتياطي من سكان الحدود مع المسلمين[2].وما كان للإسبان أن ينجحوا في حشد قواهم لتحقيق تلك الغاية دون تعميق الروح الصليبية في نفوس شعوبهم وجنودهم وتسخير طاقاتها وجهودها في ميدان النضال ضد المسلمين، والقضاء على كيانهم السياسي والحضاري في الأندلس[3].

وقد جنح أمراء النصارى في الأعوام الأولى لتتويج **ألفونسو السابع** قيصرا على إسبانيا إلى الخضوع والطاعة، ولكنهم لما آنسو قوتهم وأجمعوا أمرهم، وأخذوا يحاولون تحطيم نير التبعية الثقيل إلى قشتالة، وتحقيق إستقلالهم من جديد،ولم يبق على ولائهم منهم سوى أمير **قطلونية رامون برنجير الثالث** نظرا لمصاهرته للقيصر **ألفونسو السابع**[*].

ومع حسن حظ **ألفونسو السابع** أن ملك أراغون **رامير الثاني**،[4] الذي كان من رجال الدين لم يصطدم معه في حروب طاحنة، وهذا رغم العداء الشديد والتقليدي بين مملكتي أراغون قشتالة، لكونه لجأ إلى سكون الدير واعتزال شؤون الحكم سنة 531هـ /1137م، حيث سلم حكم أراغون إلى خطيب ابنته **بترونيلا**،كونت قطلونية **رامون برنجير الرابع** ،وقد تم إختياره كزوج مستقبلي لابنته بترونيلا التي لم تتجاوز الثانية من عمرها في إجتماع عقد في **بربشتر** ،لما اتصف به من رفيع المواهب[5].

---

[1]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص185.
[2]يوسف أشباح، المرجع نفسه، ج1، ص ص185-186.
[3]سعد بن عبد الله البشري، جماعات الفرسان الدينية الاسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة أم القرى،العدد السابع ،السنة الخامسة ،مملكة العربية السعودية، د:ط،1992 ،ص187.
[*]علاقة المصاهرة : كانت بزواج ألفونسو السابع من الأميرة برنجيلا ابنة الأمير قطلونية، رامون نرنجير الثالث سنة 522ه/1228م،(انظر محمد عنان ،المرجع السابق،ص501).
[4] أشباخ ،المرجع السابق ، ج1، ص، ص 176 -179
[5]محمد عنان، المرجع السابق، ص 501.

وعلى إعتبار أن رامون برنجير الرابع هو صهر ألفونسو السابع،[1] فقد كانت العلاقة بينهما طيبة تميل إلى الموادعة والسلم[2]. فبذلك ضمن **ألفونسو السابع**، السلام مع إمارة قطلونية ومملكة أراغون معا.

أقام ألفونسو السابع الحرب ضد ملك نافارا **غارسيا الرابع**، وامير البرتغال **ألفونسو هنريكيز اللذين** أبديا منذ البداية معارضة شديدة لتولية زعامة إسبانيا المسيحية، رغم تظاهرهما في البداية بالموافقة على زعامته هذه، وقد عقد غارسيا الرابع ألفونسو هنريكيز حلفا لمقاتلة القيصر ألفونسو السابع سنة 531هـ-1136م،[3] وبذلك فتحت الحرب على مصراعيها على ألفونسو السابع، الذي كان يقاتل ملك نافارا وامير البرتغال معا. أما مملكة البرتغال بغرب الأندلس، والتي يحكمها الأمير ألفونسو هنريكيز، فمنذ أن عقد الحلف مع مملكة نافارا غارسيا الرابع 531هـ/1136م، وهو يحارب ملك قشتالة القيصر ألفونسو السابع، وقد إستغل مسير هذا الأخير لحرب مملكة نافارا وقام بالزحف على جليقية وإفتتح مدينة **توى** وعدة مواضع أخرى هذا في أوائل سنة 531هـ/1137م[4].

أحرز ألفونسو هنريكيز نقرأ بارزا أثناء اشتباكه مع الجلقيون في موقعة تسمى **سرنيزا** ،غير أنه وصلته أنباء بأن المسلمين عاثوا في مناطق الحدود وافتتحوا مدينة **ليريني** وقتلوا قسما من حاميتها،فإرتد مسرعا إلى**قلمرية** لمحاربة المسلمين الذين انصرفوا إلى أراضيهم واكتفوا بما حازوه من غنائم[5].

عاد ألفونسو هنريكيز بسرعة إلى جليقية، لكن جيوش القيصر ألفونسو السابع استطاعت رده على أعقابه، و بعدها اتجه بنفسه هذا الأخير لغزو أراضي البرتغال ووضع حد للعدوان فحدثت معارك، ومناوشات كبيرة بين الجيشين لتنتهي ببعث ألفونسو هنريكيز رسالة إلى القيصر يطلب الصلح، فقبل هذا الأخير الصلح، كما أقسم الإشراف من الفريقين بمراعاة شروط الصلح وتبادل الأسرى بين الجانبين، وإعادة الحدود بين المملكتين وخلص إلى انتهاء الحرب بين قشتالة والبرتغال سنة 532هـ/1138م[6].

[1]محمد عنا ن، المرجع السابق، ص501.
[2]يوسف أشباخ، المرجع السابق،ج1،ص 189.
[3]يوسف أشباخ ، المرجع نفسه، ج1، ص 254.
[4]محمد عنان، المرجع السابق، ص502، أنظر أيضا : أشباخ يوسف ، المرجع نفسه ج1،ص254.
[5]يوسف أشباح، المرجع نفسه، ج1، ص ص 254-255.
[6]محمد عنان ،المرجع السابق ،ص 504، أنظر أيضا : أشباخ ،المرجع نفسه ،ج1،ص265.

ولكن عندما تلقب أمير البرتغال **ألفونسو هنريكيز** في حدود عام 533هـ/1139م، بلقب ملك البرتغال ،عاد النزاع بينه وبين ألفونسو السابع ،هذا الأخير رفض ان يعترف به ملكا على البرتغال ،وأرسل رسولا إلى البابا **أنوسان الثاني** يخبره بأن لا يوافق على إتخاذ **ألفونسو هنريكيز** لقب ملك ،فبعث البابا رسولا إلى اسبانيا النصرانية ليبحث في موضوع النزاع ،وإستغرقت المفاوضات في هذا الشأن أعواما ،لكن بدون نتيجة تذكر ،رغم إقتراح السفير على **ألفونسو السابع** أن يعترف بالبرتغال كمملكة على أن يعترف **ألفونسو هنريكيز** مقابل ذلك بخضوعه لسيادة قشتالة كتابع لها[1].سمح البابا لألفونسو هنريكيز أن يتسمى بالملك، دون أن يصادق على استقلال مملكته، أما القيصر ألفونسو السابع، فقد رفض كلا الأمرين وإستمر في تهديد البرتغال بالحرب.

لكن ملك **البرتغال ألفونسو هنريكيز** لم ينتظر موافقة البابا القيصر على مشروعه للحصول على الاستقلال مملكته، بل وضع الاتفاق مع شعبه ممثلا في الطبقات الثلاث في المجلس الذي عقد في **لاميجو**،[*] سنة 537هـ /1143م، لائحة إتخذت من ذلك الحين دستورا للبرتغال. وقد نصت هذه القوانين على استقلال البرتغال عن قشتالة وإعلان ألفونسو هنريكيز ملكا على البرتغال، وبذلك حصلت على استقلالها وتخلصت من التبعية،[2] وتفرغ ملكها لحرب المسلمين من أجل الاستيلاء على مدنهم وحصونهم وقلاعهم المتاخمة لبلاده.

بالنسبة لحرب ألفونسو السابع مع مملكة نافارا[3]،فقد سار بنفسه في جيش ضخم لمحاربة الملك **غارسيا راميريز**،وقد ساعده في ذلك صهره أمير قطلونية وأراغون رامون برنجير الرابع الذي كان يشدد الخناق على نافارا من الجنوب ،وقد إستطاع ألفونسو السابع أن يخترق نافارا سنة 534هـ/1139م[4]،وأن يصل إلى عاصمتها **بنبلونة** دون مقاومة ،وأن يضرب حولها الحصار في الحال ،وقد إنتظر **ألفونسو السابع** قدوم قوات حليفه **رامون برنجير الرابع** أمي تساعده في الاستيلاء على **بنبلونة** ، لكن خطط الملك **غارسيا** البارعة منعت جيش **رامون برنجير الرابع** من الوصول إلى بنبلونة ،حيث وقعوا به هزيمة شديدة ، فاضطر الحليفان إلى فك الحصار على مملكة **نافارا** عند فصل الشتاء من سنة 534هـ/1139م[5].

---

[1]أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص ص 259-260

[*]لاميجو: تعني البرلمان، (أنظر: يوسف أشباخ، ج1، ص 260).

[2]يوسف اشباخ المرجع نفسه، ج1، ص،ص260 -263.

[3]محمد عنان، المرجع السابق، ص 505، أنظر أيضا : يوسف أشباخ، المصدر نفسه، ج1، ص ص 187-188.

[4]يوسف أشباخ، المرجع نفسه، ص ص 189-190.

[5]يوسف أشباخ، المرجع نفسه، ص 190.

سنة 535هـ-1140 م همت أن تندلع حرب بين الطرفين، سعى ملك نافارا (غارسيا) لدى رجال الدين لتدخل في عقد الصلح بينهما وانتهت بوقف الحرب وإعلان السلام بينهما ولتوطيده أكثر تم عقد مصاهرة بين المملكتين، حيث عقد زواج أكبر أولاد القيصر وولى العهد سانشو مع الدونا سانشا ولية عهد نافارا، وهكذا سويا النزاع بين قشتالة ونافارا[1] .

ولكن سرعان ما دبت الحرب بين مملكة أراغون،[2]وخليه القيصر ألفونسو السابع ومملكة نافارا، وإنتهت هذه الحرب الضروس بإستيلاء غارسيا ملك نافارا على مدينة طريانة سنة 538هـ/1143م، فاضطر القيصر ألفونسو السابع وحليفه **رامون برنجير الرابع** للتدخل لقتال العدو المشترك، وهنا تذرع غارسيا بالحكمة وبادر بالتسليم والخضوع للقيصر وأوقف الحرب على أرغون وأعاد إليها أماكن التي إستولى عليها، وقد توجد الصلح أكثر فأكثر بين الطرفين من خلال زواج غارسيا من الدونا أوراكا إبنة القيصر يوم 14 ديسمبر 538هـ/24 جوان 1144م في ليون[3].

وبذلك تنتهي الحرب بين مملكتي قشتالة ونافارا، فأخذ ألفونسو السابع وحلفائه في التفكير وبشكل جدي في حرب المسلمين بالأندلس، هذه الحرب التي لم تهدأ حتى في خضم هذه الحروب الطاحنة بين المماليك المسيحية.

إجتمع ملك قشتالة ألفونسو السابع بملك أرغونة رامون برنجير الرابع غي مدينة **تطيلة** في شهر **جمادى الآخرة** من سنة 545هـ يناير 1151م، فعقد الملكان بينهما إتفاقية عرفت باسم **إتفاقية تطيلة** و إتفاقا فيها على تقسيم الأندلس بينهما، وتحديد مناطق غزواتهما القادمة. فحصل ملك أرغونة بموجب هذه المعاهدة على حق غزو شرقي الأندلس، لكنه تعهد أن يحكم مدينتي **بلنسية و مرسية** بصفته تابعا أمام قشتالة...ثم تعهد كل من الملكين بإحترام حقوق الآخر والتعاون معا على قتال المسلمين[4].

[1]محمد عنان، المرجع السابق، ص 506.
[2]يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص 190.
[3]يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص ص 189-190.
[4]هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ،ص 237.

لما توفي ألفونسو السابع في شوال 552هـ /1157م أوصى مللك قشتالة قبل وفاته بتقسيم مملكته بين ولديه **سانشو** و**فرناندو** على أن يحكم الولد الأكبر **سانشو** مملكة قشتالة فعرف بسانشو الثالث...أما ابنه الأصغر فكان نصيبه مملكة ليون فعرف بفرناندو الثاني[1].

وسار سانشو الثالث على سياسة أبيه...ففي سنة 553هـ/1158م جدد مع رامون برنجير الرابع، ملك أرغونة إتفاقية تطيلة الخاصة بتقسيم الأندلس بينهما[2].

توفي **سانشو الثالث** بعدما حكم مدة عام، فتولى الحكم بعده إبنه **ألفونسو الثامن** كان فات قاصرا تنازع على وصايته في قشتالة أسرتان عريقتان في القوة والثراء وهما آل كاسترو وآل لارا ونجم عن هذا النزاع، حرب أهلية وبتغلب أسرة آل لارا ، على آل كاسترو فر هؤلاء إلى أراضي المسلمين للإنتقام من أعدائهم ليحرضوا الموحدين على غزو مملكة قشتالة[3].

وببلوغ الفتى القاصر ألفونسو الثامن سن الرشد 573هـ/ 1169م حاول إصلاح أمور مملكته، فعقد معاهدة سلام مع مملكة نافارا، وهادن مملكة أراغون، لينصرف لقتال المسلمين لان مملكة قشتالة الأكثر تعرضا للخطر الإسلامي خاصة بعد قضاء الموحدين على حكم ابن مردنيش في بلنسية ومرسية، فأصبحت قوات الموحدين تثخن في أراضي الدول النصرانية بغارات مستمرة.

في عام586هـ/ 1190م، عقد ملك أرغون حلفا مع ألد أعدائه الملك **نافارا** ضد ملك قشتالة ألفونسو الثامن أخلص حلفائه،وإنظم إلى الحلف الثنائي ملكا ليون والبرتغال عام 587هـ1191 م، ليصبح الحلف الرباعي خطرا حقيقيا على مملكة قشتالة، وفي هذه الأثناء كان ألفونسو الثامن قد هادن الموحدين وعقد مع يعقوب المنصور صلحا لمدة **خمس سنوات** ليتمكن من مواجهة المماليك النصرانية الأربع المتحالفة عليه ،ويفرق شملهم وقد حدث هذا قبل أن تنقضي سنوات الصلح الخمس مع الموحدين ،فانتزع عقد الحلفاء وأثار الخصام بعد الحلف بينهم منازعات جديدة لا تنتهي،فانتهز ألفونسو الثامن الفرصة لإغارة على بلاد المسلمين بجيش كثيف ،الذي عاث وسبى في أراضيهم[4].

[1]هشام ابو رميلة ،المرجع السابق ، ص 238.
[2]هشام ابو رميلة ،المرجع نفسه، ص238.
[3]صالح الأشتر، معركة الارك 591ه/1195م، دار الشروق العربي، بيروت ، ط 1 ،1998، ص ص34-35.
[4]صالح الأشتر،المرجع نفسه ، ص، ص34-36.

الفصل الثاني

الصراع الموحدي النصراني : التجليات والأطوار.

المبحث الأول: الحركات الدينية الصليبية ودورها في تأجيج الصراع الصليبي الموحدي.

المبحث الثاني: حكم أبي يعقوب يوسف وحروبه مع ابن مردنيش والمماليك النصرانية.

المبحث الاول: الحركات الدينية الصليبية ودورها في تأجيج الصراع الصليبي الموحدي

تميز القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي في الأندلس بظهور جماعات الدينية النصرانية أو ما يعرف الفرسان الرهبان، وكان ذلك نتيجة للتطورات العسكرية والسياسية على الساحة النصرانية، والتي أعقبت تنامي القوى النصرانية واتساع نفوذها على حساب المسلمين، فأشرأب النصارى إلى القضاء على دولة الإسلام وتصفية الوجود الإسلامي نهائيا من الجزيرة الإيبرية، وكان النصارى أن ينجحوا في حشد قواهم لتحقيق تلك الغاية دون تعميق الروح الصليبية في نفوس شعوبهم وجنودهم[1].

لما اضطريت الأندلس في أواخر عهد المرابطين نجح ملك قشتالة **ألفونسو السابع في** الاستلاء على عدد من القلاع والحصون الإسلامية، ومنها قلعة رباح وعهد بالدفاع عن هذه القلعة إلى فرسان الداوية، وظل هؤلاء على نشاطهم الحربي في مهاجمة البلاد والمناطق الاسلامية القريبة من القلعة من جهة، والدفاع عن القلعة من جهة أخرى ولما تم للموحدين القضاء على المرابطين وسعوا إلى إسترداد ما إستولى عليه النصارى من القلاع والحصون.

في سنة 553هـ/1158م هاجم الموحدون قلعة رباح وكان هجومهم عنيفا، فلم يقو فرسان الداوية على مواصلة الدفاع عن القلعة، وبعثوا على عجل إلى ملك قشتالة يطلبون مساعدته لأنهم لا يستطيعون المحافظة عليها طويلا، وكان في مدينة طليطلة احد الرهبان المتحمسين لمقاتلة المسلمين يدعى **ريموند** رئيس الدير فتيرو، وكان يشاركه حماسه أحد الرهبان يدعى دييجو بلاسكيت فسألا الملك **سانشو** ان يعهد إليهما بحماية القلعة فقبل ذلك وأيدهما **يوحنا** مطران طليطلة، وأخذ الراهب **ريموند** يلقي خطبه وعظاته الدينية للدفاع عن القلعة أمام زحف المسلمين[2].

ووعد من يشارك في ذلك بالمغفرة فاجمع له أثر ذلك **عشرون الف مقاتل** وكانت هذه القوة سببا في صمود القلعة وحمايتها من السقوط في أيدي الموحدين[3].

وعقب ذلك ألف ريموند وصاحبه دييجو من هؤلاء المقاتلين المتحمسين جمعية دينية محاربة أطلق عليها جمعية فرسان قلعة رباح وذلك سنة 557هـ/1161م .

---

[1] سعد بن عبد الله البشيري، المرجع السابق، ص187 .

[2] هشام أبو رميلة،المرجع السابق،ص260 .

[3] هشام أبو رميلة،المرجع نفسه ،ص260.

كما كان بيدرو الثاني ملك أرغون شديد الاهتمام بتوسع مملكته على حساب المسلمين فقام سنة 607هـ/1210م بغزو أراضي بلنسية، ونجح بمساعدة فرسان الداوية في الاستلاء على سلسلة من الحصون والقلاع وأهمها حصن الديموس[1].

كانت الجيوش النصرانية تتألف من ثلاثة أقسام ،الأول:من الصليبيين الأوربيين وعددهم مئة الف. والثاني :من قوات مملكة أرغون وفرسان الداوية. والثالث من قوات مملكة قشتالة ومملكة ليون ومملكة البرتغال وفرق كثيرة من فرسان الجماعات الدينية المحاربة.

وتعد هذه الموقعة التي تجمع فيها أكبر حشد صليبي في تاريخ الأندلس.وشارك فيها جموع كبيرة من الأساقفة الرهبان. جنب إلى جنب مع الجنود والفرسان تعد أقصى ضربة حلت بالمسلمين وكانت نذيرا بزوال دولتهم [2].

كما قامت في مملكة قشتالة جماعة فرسان دينية أطلق عليها جماعة القديس جوليان(خوليان) بتشجيع من ملك قشتالة **ريموندس**سنة 547هـ/1152 م[3].

وكان ملك قشتالة يتطلع إلى تقوية وتدعيم الجبهة العسكرية النصرانية أمام زحف جيوش الموحدين وما لبثت هذه الجماعة أن تمت وتطور حالها مما دفع **البابا اسكندر** إلى مباركتها وذلك سنة 571هـ/1176 م[4].

وقد كان لها نشاط في دعم الجبهة النصرانية قرونا عديدة، فقد نجحت هذه الجماعة المحاربة في إحراز بعض ما كانت تطمح إليه من المحافظة على حدود المملكة النصرانية في آن واحد والتقدم نحو السيطرة على المناطق الإسلامية المتاخمة لها في آن واحد، وبعد السيطرة على قلعة القنطرة إنتقلوا إليها فسموا بفرسان القنطرة[5].

قد شاركوا فرسان القنطرة في دعم أهداف السياسية والعسكرية للمماليك النصرانية والرامية إلى إلتهام المناطق الإسلامية تحت الخطة الكبرى، التي أسماها النصارى سياسة الاسترداد. ففرسان قنطرة بإتحاد مع **ألفونسو التاسع**

[1] محمد عنان، المرجع السابق،ج2 ،ص ص604-605 .
[2] ابن عذارى، المصدر السابق ،ص ص 263-264 ، أنظر أيضا: محمد عنان، المرجع السابق،ج2،ص ص 294-295 .
[3] سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى،ج1،مكتبة انجلو، القاهرة ،ط1981،2 ،ص 548 .
[4] هشام أبو رميلة، المرجع السابق،ص304 .
[5] سعيد عاشور، المرجع السابق،ج1،ص548.

وملك ليون الذي سعى للاستلاء على حصن **قاصرش**، الواقع شمال **ماردة** وغرب **ترجاله**، كما نجح فرسان القنطرة للاستلاء على حصن بلنسية الواقع غربي قاصرش[1].

وفي إشارات تاريخية تلك نقف على مشاركة فرسان القديس خوليان في هجمات التي شنتها قوات أرغون على ما وراء نهر **شقر**، ونجحوا في الاستلاء على عدد من القلاع والحصون الإسلامية[2].

لم تقتصر نشاط فرسان القنطرة على غزوات محدودة لبعض الحصون أو القلاع، بل تعدى ذلك إلى مساهمة في خطوات الهيمنة النصرانية على قواعد الأندلس ومدنها الكبرى، إذ شاركوا في محاصرة إشبيلية والتي سقطت المدينة في أيدي النصارى سنة 646هـ/1248م[3].

وعلى رغم من الضربة القاصمة التي وجهها المسلمون إلى جماعة فرسان القنطرة وغيرهم من فرسان النصارى، إلا أن هذا لم يحل دون مواصلة جماعة القنطرة أداء رسالتها المتمثلة في محاربة المسلمين وتقليص سيادتهم على بلادهم، ولم ينقطع نشاطهم حتى سقطت آخر قلاع المسلمين في الأندلس وهي مملكة غرناطة[4].

ونأتي الآن إلى الحديث عن جماعة فرسان دينية تعد من أشهر الجماعات الدينية المحاربة التي ظهرت في الأندلس، وهي جماعة فرسان قلعة رباح والتي كانت لأفرادها زي خاصا بهم وهو عبارة عن رداء أبيض وقلنسوة مرسلة من الراس على المنكبين، ثم لحق هؤلاء الفرسان علامة أخرى على ثيابهم وهي رسم صليب أحمر على الثياب[5].

وكان لهؤلاء الفرسان مهمات عسكرية وهي مهاجمة المناطق الإسلامية وترويع سكانها تحت ستار الدفاع عن النصارى وحماية الصليب حتى إذا كانت سنة 585هـ/1189م، أخذت مملكة قشتالة في غزو بلاد المسلمين بصورة واسعة وذات أهداف عميقة، إذ شن النصارى ثلاث غزوات تحت قيادة مطران طليطلة المتعصب وقادة فرسان قلعة رباح أما الغزوة الثالثة، فكانت بقيادة مالك قشتالة نفسه **ألفونسو الثامن** قد توغل النصارى في غزواتهم حتى بلغوا أحواز **قرطبة** و **إشبيلية** وألحقوا بالمسلمين أذى وضرر كبيرين[6].

---

[1] محمد عنان، المرجع السابق، ج2 ، ص340 .

[2] أشباخ يوسف ، المرجع السابق، ج2،ص425 .

[3] محمد عنان، المرجع السابق،ج2،ص480.

[4] شكيب ارسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ،د:ط، 1983م ، ص204 .

[5] شكيب ارسلان، المرجع نفسه ،ص179 .

[6] ابن عذارى، المصدر السابق ،ص ص202 -203، أنظر أيضا: هشام أبو رميلة، المرجع السابق ،ص257 .

المطلب الثاني: حكم أبي يعقوب يوسف وصراعه مع ابن مردنيش ومع المماليك النصرانية

اتبع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سياسة والده الجهادية في بلاد الأندلس[1]، فتابع مجاهدة الثوار وخلفائهم النصارى بالخصوص شرق الأندلس حيث يوجد الثائر ابن مردنيش **بمرسية** و**بلنسية**، وهذا الثائر الذي لم يتوقف عن تنظيم غاراته على مدن الموحدين وقلاعهم وحصونهم بمساعدة النصارى، رغم هزيمته في موقعه **السبيكة** رفقة حليفه ابن هَمُشك في رجب 557هـ/ 1162م[2]، وقد كرس الخليفة يوسف حياته كلها في الجهاد في سبيل الله بالأندلس، وخاض معارك عديدة ضد المسحيين وحلفائهم المسلمين إلى أن استتب له الأمور وقضى على جميع ثوار هذه البلاد.

قيام إمارة ابن مرنديش وبداية الصراع مع الدولة الموحدية:

لما تولى ابن مرنديش*، إمارة شرقي الأندلس حرص على ربط علاقات، وإبرام عدة معاهدات وإتفاقيات مع المماليك المسيحية والإمارات المجاورة له، منها مملكة قشتالة وليون وبرشلونة وإمارة ابن همشك*،وغيرها[3].

ولقد كان للمعاهدات والاتفاقيات التي أبرمها ابن مردنيش مع تلك المماليك النصرانية، صدى عميق لدى كافة المسلمين في أنحاء إمارته، فقد كانت هذه الأمور توحي بثورة الرعية عليه خاصة لما وصل الاستنكار إلى القضاة والأعيان، حيث بعد عام من امضاء ابن مردنيش لمعاهدته مع ملك قشتالة قامت عليه ثورتان فالأولى بمدينة بلنسية قاعدة حكمه تزعمها رجل من اهل بلنسية " **عبد المالك ابن شلبان**" ولقبوه بالأمير[4]، أما الثانية فقامت في لورقة، وكادت هذه الثورتان تعصفان بسلطان ابن مردنيش في كامل شرق الأندلس، الا أنه تدخل سريعاً ونكل بالثوار أشد تنكيل[5].

---

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص165.

[2]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج9، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، د: ط، 1966، ص456.

*ابن مردنيش : هو محمد بن سعد بن أحمد بن محمد بن مردنيش الجذامي، كان مولده عام 518هـ/ 1124م في قلعة بنشكلة وهي إحدى قلاع طرطوشة المنيعة،(أنظر: القلقشندي أحمد بن علي، الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح إبراهيم الأبياري، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط 1، 1982، ص16).

*إبراهيم بن هَمُشك: هو صهر ابن مردنيش ساعده الأيمن في ثورته، هو نصراني الأصل ذلك أن جده " هَمُشك" نصراني نزح الى سرقسطة وأسلم على يد أحد ملاك بني هود في أواخر أيامهم، وكان مقطوع احدى الأذنين، فكان النصارى إذا رأوه في القتال عرفوه وقالوا هَمُشك ومعنى هذه العبارة "مقطوع الأذن" في لغة الاسبانية hemochico،(أنظر:لسان الدين ابن خطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ط1، 1901، ص85).

[3]ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح:ألفرد بال وابن أبي شنب، ج2، الجزائر، ط2، 1919، ص 220.

[4] محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، ع3، ق1، ص 336.

[5]القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مج6، المطبعة الأميرية، القاهرة، د: ط،1915، ص444.

إن رد الفعل العنيف لابن مردنيش على الثورتين، أثار غضب الموحدين حيث أرسل الخليفة الموحدي " عبد المؤمن بن علي" رسالة مؤرخة في 16 جمادى الثانية 548هـ/ 1154م كتبها الوزير " أبو جعفر عطية"*.

حيث دعا عبد المؤمن لابن مردنيش دعوة صريحة بالاتعاظ والاعتبار بالزعماء الأندلسيين المعاصرين له والذين حذو حذوه في الثورة، وبالتالي فهذا تهديد غير مباشر لابن مردنيش لتنتهي الرسالة بدعوة أخرى لموالاة طائفة الموحدين[1].

ومن أجل المحافظة على سلطانه رأى ابن مردنيش أن يحالف النصارى ضد الموحدين يظهر هذا جلياً لما حاصر الموحدون ألميرية التي كانت بيد النصارى، سار ابن مردنيش مع ألفونسو " ملك قشتالة" لنجدة الحامية النصرانية، ولكن الموحدون هزموه، وذلك في عام 552هـ/ 1157م[2]، وهكذا يكون ابن مردنيش هو من أعلن العداوة للموحدين.

سار ابن مردنيش بقواته من مرسية عام 554هـ/1160م وبصحبته قوات نصرانية بغية الإستلاء على مدينة جيان، ولكن واليها " محمد بن علي الكومي" سلمها لابن مردنيش، وانضوى تحت طاعته ناكثا بيعته لعبد المؤمن ابن علي[3].

بعد ذلك سار لابن مردنيش للاستيلاء على قرطبة فوصلها لكن واليها " أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت"*، برع في تحصينها ومقاومة ابن مردنيش، فلم يتمكن من الاستلاء عليها[4].

ثم سار نحو اشبيليا فنزل بقواته في موضع يسمى **ألبونت**[5]وبعث فرقة من جيشه لاقتحام المدينة من باب قرمونة، لكن دون جدوى ففك الحصار وأقفل راجعاً إلى مقر امارته[6].

*أبو جعفر بن عطية: ولد بمراكش سنة 517هـ، كتب للسلطانين علي بن يوسف وابنه تاشفين وبعد سقوط دولة المرابطية استكتبه عبد المؤمن، ثم استورزه، وقد كان في كتابته سهل المأخذ، بليغ الفكر، فصيح اللسان، وقد أدرك مكانة مرموقة لدى عبد المؤمن ثم جرت له محنة مع الخليفة فقتله مع أخيه أبو عقيل ابن عطية. (انظر:ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص156).

[1]القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، ج6، ص445.

[2] هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص237.

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدرالسابق ،ص ص،65-66، وأنظر أيضا:ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 63.

*أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت: ويكتب كذلك بخيت، وبكيث، وتخيت، عينه عبد المومن واليا على قرطبة عام 550هـ/ 1155م وتيجيت بالبربرية معناها الشجرة الصغيرة. (انظر: ابن خلدون المصدر السابق، مح6، ص492).

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص65، وأنظر أيضا: هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص112.

[5] ميراندا، المرجع السابق، ص 184.

[6] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص63، 70، أنظر أيضا: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص64.

بحلول سنة 555هـ/ 1160م، تتوسع جبهات الصراع والاقتتال من قوات ابن مردنيش المدعومة من المماليك النصرانية في الأندلس الموحدين لتشمل المدن الكبرى كقرطبة واشبيلية وغرناطة حيث أرسل ابن مردنيش جيشاً بقيادة صهره " ابن همشك " للاستيلاء على قرطبة، فخرج والي قرطبة آنذاك " عبد الرحمان بن تيجيت" لكن كمائن ابن همشك ألحقت الهزيمة وسقط قتيلاً، أما القوات الموحدية فقد ارتدت إلى المدينة وتحصنت بها[1].

بعد ذلك سار " ابن همشك" بقواته إلى مدينة قرمونة ليحتلها ولكن فشل ثم سار للاستيلاء على مدينة اشبيلية ولكن دون جدوى، ولكن ألحق بها أفدح الخسائر وعاث في أحوازها تخريباً وافساداً[2].

أمر عبد المؤمن ابنه " أبو يعقوب يوسف" والي اشبيلية، وبمساعدة أخيه أبو سعيد عثمان والي غرناطة [3] بإنشاء مدينة كبرى في جبل الفتح*، وكان ذلك في سنة 555هـ/ 1160م وكان هدف الخليفة من بناء هذه المدينة جعلها قاعدة خلفية لتموين الجيوش الموحدية المحاربة في الأندلس، خاصة ضد ابن مردنيش والمماليك المسيحية وذلك لردع الفتن والثورات الداخلية وكذلك امداد الجيوش الموحدية بالمؤن[4].

لما عبر الخليفة " **عبد المؤمن**" عين ابن الشرقي المشهور بابن صناديد[5]، قائداً لجيش الموحدين وكما أرسل جيشاً بقيادة أبي محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي فأقلع هذا الجيش وعسكر في قلعة جابر*.

وكانت هناك فرقة من الأندلسيين تساند الموحدين بقيادة أبو العلاء بن عزون[6].

أما ابن همشك فقد غادر قرمونة واتجه نحو جيان، فسار **ابن أبي حفص** ومعه **ابن عزن** زعيم الجند الأندلسي نحو قرمونة ومنها نحو قلعة جابر فعسكر فيها وبعث بسراياه لغزو قرمونة وأحكم الحصار عليها[7]، ولما ضاق أهل المدينة

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 75، أنظر أيضا: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص60.
[2] لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 261.
[3] أحمد عزاوي، رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب، ط1 ،1995، ص79.
*جبل الفتح: هو جبل يعد مضيق جبل طارق وهو الذي نزل طارق ابن زياد من أجل فتح الأندلس ولذلك سمي بجبل الفتح،(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص381).
[4] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 79.
[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق1، ص 386.
*قلعة جابر: الظاهر أنها بالغرب من قرمونة في طريق اشبيلية ولم تذكرها المصادر الجغرافية وحتى التاريخية ماعدا كتاب المن بالإمامة، (أنظر : ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 86، هامش 5).
[6] ميرندا، المرجع السابق، ص190.
[7] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 119-120.

بالحصار أرسلوا رجلاً منهم لمفاوضة الموحدين من أجل رفع الحصار واتفقوا على أن تفتح أبواب المدينة فتدخلها الجيوش الموحدية مقابل تأمين أهلها[1].

اتفق ابن هشمك مع يهود غرناطة سراً بالاستيلاء على مدينة قرمونة مع حليفهم المعروف ابن دهري الفانس ينفتح لهم أبواب المدين، مشى في ليلة معينة يصلهم فيها إلى باب الربض، فوصل ابن هَمُشك وكسروا القفل والباب وتنادوا بالصياح بالأصحاب فاقتحمها ابن هشمك، بينما هرع الموحدون فتحصنوا بالقصبة، حاول ابن هشمك الاستيلاء عليها لكنه فشل، فاستنجد بصهره ابن مردنيش لأخذ غرناطة[2].

استجاب ابن مردنيش لصهره ابن همشك فبعث ثلة من قواته مع قوة النصارى بقيادة ثلاثة من أمرائهم هم **البارون دريجس** والثاني **أيرمانكو السابع** والثالث شقيقه يسمى **كويسران ووصال**[3].

لبى الخليفة " **عبد المؤمن**" للموحدين المحصورين بقصبة غرناطة، فأمر ابنه أبا سعيد أن يتوجه لإنقاذ غرناطة، فسار أبو سعيد أولاً إلى**مالقة** ثم استدعى جيوش اشبيلية بقيادة **عبد الله بن أبي حفص**، وعسكرت الجيوش الموحدية في مكان يسمى **مرج الرقاد**، وكذلك أسرع ابن مردنيش بقوات كبيرة من **جيان ومرسية** لمواجهة الموحدين، فنشبت موقعة بينهم وحلت الهزيمة بالموحدين[4].

وصل الخليفة عبد المؤمن خبر هزيمة الموحدين في **مرج الرقاد***، فبعث جيشاً يتألف من **عشرين ألف مقاتل** وأسند قيادته إلى**ابنه أبي يوسف يعقوب** وجعل معه **أبا يعقوب يوسف بن سلمان** فنزل في **الجزيرة الخضراء** ثم سار إلى مالقة، فانضم له **أبو سعيد عثمان** بقواته ثم اتجه صوب غرناطة عن طريق وادي دلير **وقرية همدان** منزل وادي **شمبل** الواقع **جنوبي** غرناطة[5].

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص، ص121-123.
[2]ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص74.
[3] هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص117.
[4]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 128- 129.
*مرج الرقاد: يطلق على موقع يظاهر غرناطة بالغرب من قرية الطرف تحديد من سفح جبل البيرة وبالغرب من واد شنيل،(أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 129، هامش1).
[5]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ص 118- 119.

توجه ابن مردنيش وحلفائه النصارى لمساعدة صهره ابن همشك فعسكر فوق الجبل المتصل بقصبة غرناطة على الجهة الأخرى لنهر **حدرة***، أما صهره فبقي بقواتهفي القصبة الحمراء فوق جبل **السبيكة** معه نحو **ثمانية ألاف فارس**.

هاجم الموحدون ابن همشك في ضوء الفجر وأعجلوهم عن ركوب خيلهم ونشبت بينهم الحرب قتل قائد النصارى وعلق رأسه بباب القصر بقرطبة وتردى في الواد ضهر ابن مردنيش، ودخل الموحدون غرناطة وسط النهار على أتم النصر والاظهار[1]، وكان ذلك في 28 رجب 557هـ / 13 جويلية 1162م[2].

أما ابن مردنيش وابن هشمك، فقد ارتد عن المدينة حيث اتجه الأول نحو مرسيه، وأما الثاني فاتجه نحو جيان في فلوله وتبعته بعض القوات الموحدية لكنه لم يستقر بها بل ترك عليها وزيره " أبو جعفر الوقشي"* الذي امتنع بها فحاصره الموحدون حينا لكن دون جدوى فدمروا زروعها وأهلكوا قراها ثم أقفلوا راجعين نحو غرناطة[3].

- **سقوط إمارة ابن مردنيش:**

أدرك الخليفة **أبي يعقوب يوسف** *خطورة ابن مردنيش، فتجهز لحربه وحرب وحلفائه النصارى فقد أرسل قوة من أربعمائة ألف فارس برفقة أخيه **أبي حفص عمر** عندما جاز إلى الأندلس لمقابلة أخيه **أبي سعيد** والي **قرطبة**،عند وصول **أبي حفص عمر إلى اشبيلية** أرسل منها خمسمائة فارس إلى مدينة **بطليوس** لحمايتها من غزوات ملك البرتغال، وقد التقت هذه الفرقة شرذمة كبيرة من النصارى من أهل **شنترين** فهزمهم المسلمون وغنموا ما عندهم، واستأصلوهم قتلاً وسبياً[4].

وأرسل بقية الجيش مع **أبي سعيد يخلف بن الحسين** وأبا **عبد الله بن يوسف** من اشبيلية إلى**قرطبة** ومنها اتجها بعسكرهما إلى شرق الأندلس نحو ابن مردنيش، وحدثت مواجهة الأولى بينهما في "حصن لك" في شعبان 560هـ / جوان 1165م ولم تسفر هذه المواجهة العنيفة التي استمرت يوماً كاملاً على غالب ولا مغلوب وكانت متعادلة،

*نهر حدرة: هو نهر غرناطة،(أنظر: الحميرى، المصدر السابق، ص45).
[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ص ص 76 -77.
[2]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص134، وأنظر أيضا: هشام أبو رميلة، نفس المرجع، ص120.
*أبو جعفر الوقشي: لم نعثر على ترجمة خاصة به وإنما يظهر أنه من أخلص رجال ابن هشمك كي يجعله والياً على مدينة، ولا تجد خبره الا في كتاب المن بالإمامة (أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق،ص134).
[3]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص135.
*يوسف بن عبد المؤمن ابن علي الكومي : هو ثاني أمير موحدي، تمت له **البيعة العامة** في **الثامن ربيع الأول سنة 560هـ /22 جانفي** 1165م، حمل ذلك **لقب أمير المؤمنين**، (أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص، ص 163-166، وأنظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 319-320).
[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص88.

فاضطر قادة الموحدين إلى طلب الإمدادات من الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمراكش، فوصل كتابهم إليه في أول شهر رمضان عام 560هـ/ 11 جويلية 1165م[1]، فأرسل الخليفة أخويه أبي حفص عمرو وأبي سعيد عثمان بجيش من الموحدين ونخبة من الفرسان العرب من زغبة ورباح والاثبج[2]، وخرجوا من مراكش في العشر الأوائل من رمضان 560هـ/ 1165م، وعندما وصلوا إلى اشبيلية تشاوروا واتفقوا وخرجوا في **أول ذي القعدة** من نفس العام لقتال ابن مردنيش، فاستولوا على مدينة أندوجر*، وقدمت الحصون المجاورة لها الطاعة للموحدين بعد استلائهم على غنائم كثيرة، أكملوا طريقهم نحو بلاد ابن مردنيش[3].

1- موقعه بفحص الجلاب:

لما سمع ابن مردنيش بقدوم جيش الموحدين نحوه، قام بحشد جميع قواته بشرق الأندلس واستدعى حلفائه النصارى من طليطلة وأحوازها فلبى نداءه جمع كبير[4]، بلغ ثلاثة عشر ألفاً من القشتاليين والأراغونيين[5] وانطلق لملاقاة جيش الموحدين الذي كان بمدينة لورقة، وعندما وصل ابن مردنيش ناحية لورقة اعترض طريقة الموحدين لكن الموحدين عدلوا عن طريقه وغيروا وجهتهم حيث سلكوا طريقاً مغايراً وصلهم إلى سهل الفندون* ومنه توجهوا إلى مرسية.

وعاد ابن مردنيش وقواته المسيحية أدراجهم صوب مرسية وفي يوم الجمعة السابع من ذي الحجة عام 560هـ/ 15 أكتوبر 1165م[6]، التقى الجمعان في سهل مرسية وبالضبط في المكان المعروف بفحص الجلاب*، وخاضا معركة نارية أبلت فيها الجيوش الموحدية بلاءاً حسناً واستطاعت أن تهزم ابن مردنيش وحلفائه النصارى، ويذكر ابن أبي زرع أنه قتل جميع من كان معه من الروم[7]، ويقول المراكشي وقتل من أعيان جملة[8].

---

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 196.
[2]ابن خلدون، مصدر السابق، ج6، ص320.
*بلدة من مقاطعة جيان، تقع شمال شرقي قرطبة، مشيدة بشط الوادي الكبير، يعبر لها على قنطرة في غاية العلو،(أنظر: ابن صاحب الصلاة، مصدر السابق، ص 197 الهامش2).
[3]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 89.
[4]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 198.
[5]ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 210.
*سهل الفندون: يحاذي هذا السهل الخصب نهر سانكرونيرا ويمتد على مسافة خمسة وعشرين ميل بالمنطقة التي تفصل لورقة وقرطاجنة،(انظر: ميراندا، المرجع السابق، ص215، هامش 25).
[6]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص198، أنظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 89.
*فحص الجلاب: يبعد عن مرسية عشرة أميال، وقد سماه أيضاً ابن صاحب الصلاة بحامة بلقوار أو بلقواد ،(انظر: ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 89).
[7]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص210.
[8]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص177.

ويقول ابن صاحب الصلاة ،وابن عذارى: وولى الكفرة مدبرين فقتلوا قتلاً ذريعاً وخر أكثرهم صريعاً[1]، ويذكر البيدق أنه قتل جميع من مع ابن مردنيش حتى لم يبقى الا خيل قليلة[2]، كما قتل شيوخ العرب السبعة[3].

بالنسبة إلى مردنيش فقد فر إلى جبل قريب من موقع المعركة وفي الليل أكمل طريقه إلى مرسية خائباً ذليلاً، فتبعه الموحدون ودخلوا مرسية وعاثوا فيها وفي أحوازها واستولوا على غنائم كثيرة[4]، ومن هناك بعث **أبو حفص عمر وأبو سعيد عثمان** رسالة إلى الخليفة **يوسف بن عبد المؤمن** يخبرونه بالنص في معركة **فحص الجلاب** على خصمهم **ابن مردنيش** وحلفائه النصارى، والرسالة مؤرخة في **العشر الأوسط** من ذي الحجة علم **560هـ** أواخر أكتوبر **1165م**[5]، وقد وصلت هذه الرسالة إلى مراكش صبيحة الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة عام 560هـ/ 31 أكتوبر **1165م**[6].

وبعد أيام من دخول مرسية والعبث في أحوازها عاد الموحدون أدراجهم منها[7]، واكتفوا بقطع دابر **ابن مردنيش** واحتلال **أندوجر** وقلاع أخرى على درجة من الأهمية دون أن يحتلوا بسطة ولورقة[8].

وقد قضت هذه الجملة على هيمنة ابن مردنيش في الأندلس، وأبرزت عدم ولاء أهل المنطقة له[9]، وأدت إلى تشتيت جبهة ابن مردنيش مع حلفائه النصارى.

وقد فقد ابن مردنيش خلالها جنود كثيرة خاصة النصارى المرتزقة منهم الذين أبيدوا عن آخرهم[10]، كما نبهت الموحدين إلى ضرورة القضاء على نفوذ ابن مردنيش بصفة نهائية والاستيلاء على المنطقة لما تتميز به من أهمية عسكرية واقتصادية[11].

---

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص199، أنظر أيضا : عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ج5، ص89.
[2]البيدق،المصدر السابق، ص 129.
[3]البيدق،المصدر نفسه، ص 129.
[4]المراكشي، المصدر السابق،ج5، ص90.
[5]بن صاحب الصلاة، المصدر السابق،ص ص 201-202.
[6]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص ص 200 -201.
[7]ميراندا، المرجع السابق، ص 217.
[8]ميراندا، المرجع نفسه، ص 216.
[9]معمر الهادي القرقوطي، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541ه-626ه/1146م-1233م)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، د:ط،2005 ، ،ص 136.
[10]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص210.
[11]معمر الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص 136.

المعارك التي سبقت معركة الأرك

1- استرجاع بطليوس:

في حدود سنة 560هـ/ 1165م، ظهر في غرب الأندلس عصابة من عصابات قطاع الطرق تزعمها رجل برتغالي اسمه جيرالدو سمبافور*، الذي وجه اهتمامه لمحاربة المسلمين ومداهمة مدنهم وقلاعهم للأشياء عليها، وبيعها لملوك وأمراء النصارى، وكان جيرالدو يعمل لحساب ملك البرتغال **ألفونسو هنريكيز**[1].

قام بسلسلة من الغزوات على مدن غرب الأندلس[2]، وقد أعانه على ذلك ألفونسو هنريكيز فأمده برحالة وسلطة على المسلمين[3].

وقد استولى جيرالدو على مدينة ترجالة*، وفي سنة 560هـ/ 1165م، ثم على مدينة يابرة في سنة 560هـ/ 1165م فباعها للنصارى[4]، وفي عام 561هـ/ 1165م استولى على مدينة قاصرش*، ثم استولى في عام 561هـ/ 1166م على حصن **منتانجش** الواقع إلى الجنوب الشرقي من ترجالة ،وكذلك حصن **شيربة**، وأعقب ذلك استيلاء على حصن جلمانية الذي يقع جنوب بطليوس، وشمال يابرة سنة 562هـ/1167م، وسكنه مع قواته وأخذ يشن سلسلة من الغارات على بطليوس ويضيق عليها الخناق[5].

وكان الاستيلاء على هذا الحصن وكذلك الحصون والمدن التي ذكرناها مقدمة لاستيلاء ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز على **بطليوس**، فقد قام حليفه **جيرالدو** بتهيئة الأجواء والظروف لكي يستولي عليها.

---

*جيرالدو سمبافور: تسميه الروايات الإسلامية (جراندة الجليقي) أو العلج جيراند الجليقي، وتلقبه الروايات النصرانية بالباسل، سماه ميراندا (خيرارد وسام بابور) وهو مغامر برتغالي ورئيس عصابة التي تحارب المسلمين، فقد استولى على مجموعة من الحصون والمدن وباعها للملوك النصارى، وهناك من يسميه القمبيطور البرتغالي تشبيهاً بالسيد القمبيطور القشتالي الذي تسميه الروايات الإسلامية **لذريق** لجأ جيرالدو في آخر حياته بعد أن وجد نفسه فقيراً الى الموحدين بمراكش، وكانت نهايته القتل، بعدما كشف أمره بأنه يتصل سراً مع ألفونسو هنريكيز في عام 571هـ،(أنظر : ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص 321).

[1]مراجع عقيلة غناي، المرجع السابق، ص102.

[2]ميراندا، المرجع السابق، ص 221.

[3]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 288-289.

*ترجالة: مدينة بغرب الأندلس تقع شمال ماردة، منها إلى حصن قاصرش، وهي مدينة كبيرة لها أساور منيعة وبها سوق عامرة،(أنظر:الإدريسي، المصدر السابق، ص 274).

[4]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 289.

*قاصرش: مدينة شمال بطليوس، بها حصن منيع فيه خيل ورجال يغارون في بلاد الروم،(انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 274).

[5]البيدق، المصدر السابق، ص 131، هامش4.

وقد تمكن جيرالدو ومن مفاجأة بطليوس والاستيلاء عليها[1]، ولجأ الموحدون مع واليهم **أبي علي بن عمر بن تمصليت**إلى القصبة لاحتماء بها، وضرب النصارى عليها الحصار وأقبل اليها ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز واستولى على المدينة في سنة 564هـ/ 1169م[2].

ولم يكن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بغافل عن الأحداث التي وقعت في غرب الأندلس وما نتج عنها من سقوط بعض المدن والحصون في أيدي النصارى مثل ترجالة، ويابرة، وقاصرش، وحصن منتانجش، وحصن شيربة ،وجلمانية، ثم مدينة بطليوس، وقد شغلته الثورات والفتن التي وقعت في المغرب، فحالت دون اتخاذ أي إجراء لإنقاذ هذه المدن والحصون[3].

انتظر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حتى هدأت الأمور في بلاد المغرب في أوائل عام 564هـ/1169م[4] وبدأ يعد العدة للعبور إلى الأندلس بنفسه، رفقة جيش ضخم لإنجاد بطليوس، ومدن غرب الأندلس، فأمر الخليفة يوسف في حدود سنة 564هـ/ 1169م بضرب الطبول وخروج الجيش لغزو النصارى بالأندلس[5].

وخرج هذا الجيش من مراكش ونزل بمحاذاة نهر تنسيفت*، فأقام به ثلاثة أيام ولما سمح باستيلاء جيرالدو سمبافور على مدينة **بطليوس** اجتمع رأي الأشخاص الموحدين على التعجيل إلى ارسال الجيش إلى الأندلس رفقة **الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني**، فانطلق في سنة 564هـ/ 1169م، أما الخليفة فقد عاد إلى عاصمة دولته مراكش يتابع منها الأوضاع عن كثب[6]، وأرسل الخليفة رسالة من انشاء **أبي الحسن بن عياش** مؤرخة في الحادي وعشرين من سنة 564هـ/ 21 1169م، إلى ولاة الأندلس أوضح فيها الظروف التي منعته من الجواز بنفسه إلى الأندلس وأكد فيها أنه مهتم كثيراً بنصرتهم على أعدائهم، كما أنه بعث اليهم طليعة عسكرية من الموحدين صحبة **أبي الحفص عمر** لمحاربة المسحيين في انتظار جوازه[7].

---

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 291- 292.
[2]ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 105.
[3]معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 147.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 104.
[5]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص325.
*تنسيفت أو تانسيفت: نهر على ثلاثة أميال من مراكش، ليس كبيراً ولكنه دائم الجريان وإذا كام زمن الشتاء حمل بسيل كبير، ويصب في هذا النهر مياه منبعثة من جبل درن، وقيل إن طوله يبلغ نحو 250 كلم،(أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 291، هامش105).
[6]ميراندا، المرجع السابق، ص227.
[7]ابن صاحب الصلاة، المصدرالسابق، ص293.

وعند وصول جيش الموحدي إلى الأندلسي استقر بإشبيلية، وهم بالخروج إلى بطليوس لتحريرها من أيدي البرتغاليين، وإنقاذ الموحدين المحصورين بقصبة المدينة.

حتى وصلت أخبار بوصول النجدة للمسلمين المحصورين ببطليوس، من فرناندو الثاني ملك ليون حليف الموحدين[1].

وعندما اقترب بجيشه من بطليوس أرسل رسوله إلى واليها الموحدي أبي علي عمر بن تمصليت المحصور بقصبتها ومن معه من الموحدين يعلمهم بقدومه ويشجعهم على الثبات ،ويطلب منهم مساعدته في دخول المدينة لإنقاذهم، فأمر ابن تمصليت رجاله بنقب سور القصبة من موضع لا يراه منه جند ألفونسو هنريكيز، ولما تأكد ابن تمصليت وأتباعه من وصول الجيش ملك ليون فرناندو الثاني وبداية المعركة مع الجيش البرتغالي[2].

فتحوا الثقب وخرجوا جميعاً مسرعين إلى باب قريب من أبواب المدينة، ففتحوه ودخل جيش فرناندو وقاتلوا معه **جيش ألفونسو هنريكيز** قتالاً شرساً، أظهروا فيه شجاعة كبيرة، ولما رأى ألفونسو هنريكيز هزيمة جيشه فر خائباً منهزماً، وأثناء خروجه من باب المدينة وهو في حالة فزع شديد اصطدم بعمود الباب فانكسر فخذه اليمنى وسقط مغشياً عليه[3]، فحمله أصحابه إلى**قاية***، وتبعه رجال فرناندو وعادوا به أسيراً فقيده فرناندو في الحديد ثم أطلقه برغبة من النصارى وسرحه إلى **قُلْمْرية** بلده مهزوماً ذميماً[4]، بعد أن تعهد برد الأماكن والأراضي التي انتزعها من جليقية والتنازل عن كل دعوى بشأنها[5].

وقد تمكن بذلك فرناندو أن يضرب خلال هذه الغزوة عصفورين بحجر واحد، حيث بين للموحدين أنه وفى بعهده معهم وساعده في حرب عدوهم، ومن جهة أخرى استطاع هزم عدوه **ألفونسو هنريكيز** وتأديبه، لأنه كان يرى أنه إذا كان هناك ملك مسيحي من حقه استرداد بطليوس من المسلمين، فذلك الملك لا يحب أن يكون غيره[6].

وقد حررت **بطليوس** من أيدي البرتغاليين في الثاني والعشرين من شعبان 564هـ/ 21 ماي 1169م، وسلم ملك ليون فرناندو الثاني المدينة للموحدين ووفى بعهده[7]، وانصرف إلى بلاده سالماً بأجناده موصوفاً عند المسلمين

---

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 106.
[2]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 295- 296.
[3]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 296.
*قاية: موضع قريب من بطليوس وهو بالغرب،(أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 296، هامش1).
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص106.
[5]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 29.
[6]ميراندا، المرجع السابق، ص 227، هامش 51.
[7]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 297.

والنصارى بالوفاء[1]، وأصبح واليها ابن تمصليت حاكماً عليها، وكتب الشيخ أبو حفص عمر إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن رسالة يصف هذا الفتح فسر بذلك أمير المؤمنين سروراً كبيراً وشكر الله.

وعلى إثر سيطرة الموحدين على بطليوس، اتجه الشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني بجيشه الذي لم يشارك في تحرير بطليوس إلى قرطبة، فعمى السرور بمقدمه، وألقت الرعب في قلوب النصارى والثائرين المسلمين بشرق الأندلس عندما علموا بوصول هذا الجيش اليها، وتوجه ابنه أبو يحي إلى بطليوس ليقوم بولايتها تنفيذاً لأوامر الخليفة يوسف[2].

وقد دخل والي بطليوس الجديد أبو يحي في حرب ضروس مع جيرالدو سمبافور الذي فر عند استيلاء الموحدين على بطليوس واستقر بحصن جلمانية، وخاض معارك كثيرة مع المسلمين إلى أن دخل في طاعة الموحدين في أوائل 569هـ/ 21جانفي 1174م[3].

ظروف غزوة ولذة:

بعد أن وصلت الخليفة " يوسف بن عبد المؤمن" من أخيه " أبي حفص" أنباء الاستغاثة والترغيب في غزو النصارى بالأندلس[4]، قام باستدعاء العرب من افريقية وبلاد الزاب وترغيبهم للمشاركة في الجهاد[5].

وقد سر الخليفة يوسف سروراً كبيراً باستجابة العرب لندائه ومجيئهم رفقة أخيه وإلى بجاية **أبي زكريا يحي بن عبد المؤمن** ومعهم أموالهم، وجملة كبيرة من الخيل العربية المدربة واستقبلهم الخليفة استقبالاً حاراً وأجزل لهم الأعطيات والهبات[6].

استمر الخليفة يوسف في تحضير الجيوش حيث صدرت الأوامر في غزة جمادى الآخرة سنة 566هـ/ 9 فيفري 1171م إلى جميع الجند الموحدين بالاستعداد واستكمال الزي والهيئة وفرق عليهم الخيل وكذلك على العرب الوافدين، وأعطى للجميع الرماح والدروع والسيوف والكس والأعلام وغير ذلك من الآلات والأسلحة، وقام بتوزيع الأموال على الجند فأعطى **للفارس الموحدي الكامل** منهم عشر دنانير ولغير الكامل ثمانية دنانير وللراجل الكامل خمسة دنانير

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 297.
[2]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه،ص ص 302-303.
[3]البيدق، المصدر السابق، ص ص 131- 132، هامش4.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص114.
[5]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5،ص114،أنظر أيضا :ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص ص325 -326.
[6]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص322، أنظر أيضا: ابن عذارى،المصدر نفسه ،ج5،ص116.

ولغير الكامل ثلاثة دنانير، وأعطى لفارس من العرب الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً ولغير الكامل خمسة عشر ديناراً والراجل سبعة دنانير، وأعطى الأشياخ وزعماء العرب لكل واحد منهم خمسون ديناراً ولكل رئيس منهم على قبيلة مائتا دينار، وكسى جميعهم بالقباطي*، وغيره من أنواع الألبسة، فتضاعفت معنوياتهم في خوض عمار الجهاد بالأندلس[1].

في يوم السبت الرابع رجب 566هـ/ 13 مارس 1171م، خرج الخليفة يوسف من مراكش قاصداً بلاد الأندلس[2]، في حشوده من الموحدين والعرب، وقد بلغ عسكر الموحدين عشرة آلاف فارس ونفس العدد من العرب وبخلاف المتطوعة من الناس والمجاهدين[3]، وقد استخلف مراكش أخاه **أبا عمران**وخرج من باب **دكانه** وأتت جموع الناس لرؤية موكبه الفخم وانتقل بعسكره من موضع إلى آخر، الا أن برباط الفتح في العشرين رجب سنة 566هـ/ 29 مارس 1171م[4]، بدأ عبور الجيش إلى الأندلس عن طريق ثغر طريف في مستهل رمضان 566هـ/ 8 ماي 1171م، فوصل اليها في غرة ذي القعدة 566هـ/ 6 جويلية 1171م، فشرع مباشرة في ارسال الجند لغزو المماليك المسيحية[5]، وإيقاف زحفها الجارف على بلاد المسلمين من الأسباب الرئيسية لعبور الخليفة يوسف بنفسه مع هذا الجيش الضخم.

غزوة وبذة:

لما كللت حملة مرسية بالنجاح وتوفي ابن مردنيش وانتهت مملكة الشرق بقدوم هلال ابن مردنيش وقادة الشرق إلى اشبيلية[6]، في مستهل شهر رمضان 567هـ/ 28 أفريل 1172م، وقدموا خضوعهم وطاعتهم للخليفة يوسف بن عبد المؤمن[7]، اقترح هؤلاء القادة على الخليفة أن يقوم بغزو أراضي النصارى من جهة بلادهم، واقترحوا عليه بالذات **مدينة وبذة** هدفاً لهذا الغزو، وبينوا أنها أيسر البلاد للفتح، اذ هي حديثة البنيان قريبة الإسكان وأن سورها غير ممتنع

*القبطية: هي الثوب الرقيق من الكتان، (انظر : ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 215، هامش4).
[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه ،ص ص 348- 349.
[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 118.
[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 361.
[4]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 355.
[5]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 360.
[6]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 119.
[7]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 68.

وأنها دون باب ولا حجاب[1]، كما أنها قريبة إلى الأراضي الخاضعة للسلطة الموحدية، وهو ما يجعل مشكل تموين الجيش أثناء الحصار غير مطروح[2].

وقد اقتنع الخليفة باقتراحاتهم، وقرر توجيه الحملة إليها بعد انقضاء شهر رمضان سنة 567هـ/ 26 ماي 1162م[3].

وفي يوم الاثنين الحادي عشر شوال سنة 567هـ/ 6 جوان 1172م، خرج من اشبيلية بقواته فوصل قرطبة في نفس الشهر وأقام في جبل حفص السرداق*، ثم دخل قصر قرطبة العتيق وأقام فيه مرتبا لأحوال هذه العزوة، ثم سار صوب مدينة القصير*، ثم اتجه نحو الشرق حتى صار على مقربة من مدينة بياسة، وهناك لحق إبراهيم بن همشك[4]، الذي كان محاصراً لحصن بلج*، وقد اقترح على الخليفة يوسف أن يمضي إلى الحصن لحصاره والاستيلاء عليه، فاستجاب الخليفة لدعوته[5]، وشرعوا في حصاره لينتهي باستسلام النصارى المتواجدين بالحصن بمقابل الأمن لهم، فكان لهم ذلك واستولوا على الحصن سوم السبت ثلاثين شوال 567هـ/ 25جوان 1172م.

ثم رحل الخليفة بجيشه متوجهاً إلى حصن الكَرس*، فاستولى عليه يوم الجمعة السادس ذي القعدة 567هـ/ 1 جويلية 1172م بعد طلب أهله الأمان.

ثم اتجه في اليوم الموالي إلى موضع يعرف ببلاط الصوف بجوار مدينة جنجالة التي كانت الحد الفاصل بين المسلمين وقشتالة، ثم اتجه إلى مرج البسيط، ثم وادي شُقر فاستراح فيه الجيش وارتوى الناس والدواب من ماء النهر[6].

في الثاني عشر من ذي القعدة 567هـ/ 6جويلية 1172م أمر الخليفة أخاه **أبا سعيد** أن يسير من وادي شُقر مع الثني عشر فارس من الموحدين والعرب ومعهم قوة من الرجالة والرماة لغزو وأراضي قشتالة بجهة مدينة وبذة، وكان

---

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 381.
[2]ميراندا، المرجع السابق، ص 245.
[3]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 382.
*سهل شرق قرطبة، وفي شمال نهر الوادي الكبير، وكان مركز تجمع الجيوش الإسلامية في عهد الخلافة الأموية عند توجه حملاتهم الى الشمال،(أنظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 399، الهامش 2).
* مدينة تقع في الشمال الشرقي الإشبيلية،(أنظر ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص 400، الهامش 1)
[4]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص 321.
*حصن بلج: كام ملكاً لابن هُمشَك، ولما وقع خلاف بينه وبين ابن مردنيش استولى عليه هذا الأخير،(أنظر :ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 400).
[5]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص400.
*الحصن الكرس: كان مرتفعاً على بطاح كثير المنافع، كثيرة المياه لسقي المزارع، وكان ابن مردنيش قد سلمه الى حامية النصارى،(أنظر : ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 401.
[6]ميراندا، المرجع السابق، ص ص 246- 247.

في صحبته **أبو العلاء بن عزون** و **إبراهيم بن هُمشَك** ووصل هذا الجيش إلى بلاد قشتالة بموضع يسمى **مرج خمل**[1] وفيه حصن يحتله النصارى فاقتحموه وقتلوا وسبو حاميته وهدموه، وفي الغد وصل الجيش الموحدي إلى مدينة وبذة، فخرج إليهم القشتاليون فنشبت بينهما معركة ظهر فيها تخاذل من بعض الجند العرب حيث لم يستميتوا في القتال وأظهروا رخاوة وضعف مهمة كان سبباً في مقتلهم أثناء المواجهة وبالتالي فشل المسلمين في تحقيق الانتصار[2].

فاضطر أبو سعيد إلى الانسحاب مع قواته إثر ذلك وعسكر على التل المشرف على المدينة في انتظار باقي القوات الموحدين، وفي السابع عشر ذي القعدة عام 567هـ/ 11 جويلية 1172م وصل الخليفة بقواته، وأمر باستعداد جميع الجيش[3]، وعلى الفور بدأت المعركة بين الموحدين والقشتاليين، استولى خلالها الموحدين على الأراضي المجاورة للسور وأحرقوا ديارهم فاضطر **القشتاليون**إلى التراجع إلى داخل المدينة تاركين المجال لنزول **قوات الموحدين** بخيولهم إلى الجنات والكروم المتصلة بالمدينة ومنعوا على النصارى ماء الوادي[4].

عقد الخليفة مجلساً حربياً مع أشياخ الموحدين، وبعث معهم خطة الهجوم على المدينة في المقابل كان النصارى يحفرون خندقاً حول ريض مدينتهم وقاموا بتسييجه بالخشب الذي أخذوه من أبواب منازلهم.

في صباح الغد تأهب الجيش للقتال بقيادة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وأكابر أشياخ الموحدين ومعهم جملة من **العلماء والقضاة** منهم **أبا بكر الجد**وأبا **الوليد بن رشد الحضير** وغيرهم[5]، وبايعه الجميع على الثبات على الجماد.

فهجم الموحدون على القشتاليين ودارت بينهما معركة ضارية، ارتد فيها القشتاليون المدينة وتحصنوا داخل القصبة، ماعدا الجهة الغربية من المدينة فلم يتمكن **أبو العلاء بن عزون وقواته** عن ردهم، فاستنجد بالخليفة لكي يرسل له المدد ولكن الخليفة أعرض عنه لانشغاله مع الطلبة في المذاكرة[6].

فانسحب ابن عزون مع قواته بعدما تأكد لهم استحالة حسم المواجهة لوحدهم[7].

---

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 76.
[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 402 -403،أنظر أيضا: ميراندا، المرجع نفسه، ص247.
[3]ابن صاحب الصلاة،المصدر نفسه، ص 403.
[4]ابن صاحب الصلاة،المصدر نفسه، ص 404.
[5]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 405.
[6]ابن صاحب الصلاة، المصدرنفسه، ص ص 409-410.
[7]ميراندا، المرجع السابق، ص 249.

وقد هدم الموحدون خلال هذا الهجوم كنيسة المدينة، وأخذوا نواقيسها التسعة[1]، وقتلوا النصارى المدافعين عنها، إلا أنهم أوقفوا القتال في آخر المطاف بعد ظهر ذلك اليوم دون تحقيق النصر على القشتاليين رغم ضخامة جيشهم الذي قدره ابن صاحب الصلاة بنحو **مائة ألف** بين فارس وراجل[2].

استمر في حصار المدينة ومنعوا عنها الماء، وفي تلك الأثناء أقبل رسول من القشتاليين راغباً في تسليم المدينة بالأمان، فقُبل طلبه بالرفض وعاد مساء نفس اليوم فصرف بغير طائل[3].

في صبيحة العشرين من ذي القعدة عام 567هـ/ 14 جويلية 1172، هبت ريح صيفية فأوقعت الاضطراب بمعسكر الموحدين وحطمت القدور والأخبية، وفي صباح اليوم التالي وصل الشيخ **أبو حفص عمر الهنتاتي** في قواته من أهل الشرق قادماً من بلنسية مع أبو الحجاج بن مردنيش، فسر الخليفة لمقدمهم وأمر أبا الحجاج بن مردنيش بالنزول بأهل الشرق بالجبل المجاور لوبذة وضيق الموحدون أكثر فأكثر على المدينة، فاضطر النصارى بعدما رأوا وصول الامدادات إلى طلب الأمان مرة أخرى، فقوبل طلبهم بالرفض أيضاً.

وسبب سوء أحوال الجو من هبوب رياح قوية تصحبها أمطار غزيرة فقد فشل الجيش الموحدي في قتال القشتاليين، لذلك أرسل **الخليفة عبد الرحمان بن أبي مروان بن سعيد الغرناطي** إلى القشتاليين للتفاوض معهم بشأن تسليم المدينة، لكن قائد **وبذة الكونت مانريكي دي لارا**، رفض التسليم وكرر المسعى مرتين في نفس اليوم فرفض قائد وبذة مرة أخرى وقال لست أمشي معك فان النصارى والأمير **أذ فونش الصغير** (ألفونسو الثامن) قد خاطبني باجتماعهم واحتشادهم ووصولهم إلى وليرفعوكم أو يقابلوكم[4].

لما علم الخليفة بنوايا القشتاليين أمر بحرق البرج المصنوع لقتال النصارى وسائر الآلات التي صنعت منه وأمر بشحن النواقيس التي أخذت من كنيسة وبذة.

وفي التاسع والعشرين من ذي القعدة عام 267هـ/ 23 جويلية 1172م، قرعت طبول الرحيل وبدأ الموحدون في الانسحاب، وعندما علم القشتاليون بذلك خرجوا في قواتهم ونزلوا إلى الوادي وهاجموا الموحدين وأشعلوا النار في

[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 206-207.
[2]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 408.
[3]ميراندا، المرجع السابق، ص 249.
[4]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 412.

البيوت والخيام، ودار القتال بين الطرفين وقتل القشتاليون من تخلف من المرض والمنهكين، فأمر الخليفة بتوقف الجيش حتى ترفع الأخيبة، فلما رفعت وقفت قوة ترد المهاجمين حتى يتم الانسحاب[1].

وقد تم الانسحاب بانتظام فحال دون إستفادة القشتاليين من الوضع رغم المحاولات التي قاموا بها[2].

وقد تمكن جيش الموحدي من قتل ستون رجلاً وأسر عشر آخرين، وسار الجيش المنسحب نحو قونكة حيث استقبل أهلها الخليفة يوسف بحفاوة بالغة وقد أصابهم الضعف بسبب محاصرة النصارى لمدينتهم قبل ذلك بخمسة أشهر ولم يتركهم النصارى إلا حينما علموا باقتراب الموحدين إليهم، وقد أحسن الخليفة لهم قد لهم الاعطيات والهبات[3].

وعبر الجيش الموحدي بعدها وادي شُقر ونزل بالجبل المتصل بمدينة قونكة لحصانته وفي تلك الأثناء وصلت قوات النصارى وعسكرت في جبل توتبس*، في الناحية المقابلة للوادي، وبات الموحدون ليلتهم محترسين من مكر العدو، وعند الصباح اجتمع الخليفة بأشياخ الموحدين، اتفقوا على ضرورة قتال العدو يوم الجمعة، أما العرب اعترضوا وجبنوا عن اللقاء واحتجوا بضيق ساحة القتال[4].

فلما رأى الموحدون الأندلسيون جبن العرب ورفضهم القتال زادت عزيمتهم وهممهم في الجهاد، وفي الصباح انطلقت فرقة من المسلمين بقيادة أبو العلاء بن عزون ودخلت معهم في مناوشات ومدافعات ورجع ابن عزون عشية النهار سالماً ظاهراً[5].

في الخامسة من ذي الحجة عام 567هـ/ 29 جويلية 1172م، خرج أبو العلاء بن عزون في الفجر ليستطلع أخيار العدو، فوجد النصارى قد انقلبوا منصرفين إلى بلادهم، عند ذلك استأنف الجيش الموحدي المسير وقد وصل مرسية يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة 567هـ/ 17 أوت 1172م، وفور وصوله اليه أمر الخليفة بإصلاح معاقلها وتحصينها[6]، وجعل على ولاية بلنسية أبا الحجاج يوسف بن مردنيش وقفل راجعاً إلى اشبيلية ووصل اليها في الثامن من

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 123 - 124.
[2]ميراندا، المرجع السابق، ص 252.
[3]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 416.
*جبل توبتس: ربما كانت هذه الكلمة تحريفاً للكلمة الاسبانية Tumbos ،Tumbas ويعتقد أن الوضع المقصود هو طورقاس (Torcas)،(أنظر ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 417، الهامش6).
[4]ميراندا، المرجع السابق، ص 253، الهامش 107.
[5]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 418.
[6]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص،ص 419 -422.

ربيع الأول علم 568هـ/ 1173م، وقد استغرق في غزوته هذه حوالي خمسة أشهر[1]، ولم يجن الموحدون ما كان ينتظر من وراء هذه الغزوة من النصر.

ومن انعكاسات هذه الغزوة السلبية على الموحدين قيام ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز رفقة المغامر جيرالدو سمبافور، بمهاجمة مدينة باجة بغرب الأندلس من محرم 568هـ/ 23 أوت 1173[2]، مستغلين غياب الخليفة يوسف والجيش الموحدي في هذه الغزوة، وكذلك سوء أحوال مدينة باجة باستبداد واليها عمر بن سحنون* وظلمه الشديد لرعيته وقد هاجم البرتغاليون المدينة ليلاً واستولوا عليها بكل سهولة، لأن الحراسة بأبراج المدينة كانت مهملة، وكان الحراس لا يلازمون الحراسة لأن الوالي ابن سحنون كان يحبس رواتبهم ولا يدفعها لهم.

وقد قتل النصارى عند دخولهم مدينة باجة الكثير من الناس وجماعة من أعيانها واستولوا على مقادير عظيمة من الأموال والغنائم[3].

وبعد حوالي خمسة أشهر غادروا المدينة وكان يوم الخامس عشر جمادى الآخر 568هـ/ 1 جانفي 1173م، لصعوبة الدفاع عنها[4] ، وقد عملوا على تهديم أسوارها وحرق ربوعها وتركها قاعاً صفصاء وحملوا معهم كثيراً من الأسرى المسلمين، وقد أنقذ معظم هؤلاء فيما بعد بالفداء، وهاجر كثير منهم بعد خراب مدينتهم إلى مراكش[5].

ويظهر من خلال احتلال مدينة باجة الروح الصلبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين وأن حركة الاسترداد لم ولن تتوقف، فكما أتيحت الفرصة للصلبيين تراهم يهجمون على مدن المسلمين ويستولون عليها ويدمرونها ويقتلون أهلها ويبيدونهم عن آخرهم.

والملفت للنظر أن الموحدين لم يتحركوا لسقوط مدينة باجة، ولم يوجهوا جيوشهم لمحاولة انقاذها من أيدي البرتغاليين، وشغل الخليفة نفسه بالعمل على استكمال بناء المسجد الجامع وكذلك استقبال الوفود من أهل افريقية[6].

---

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 84.

[2]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 129.

*عمر ابن سحنون: طالب من طلبة الموحدين بربري الأصل، يقول عنه ابن عذارى أنه سخيف العقل قصير القامة، أعرج لا يفهم، كان سفاحا للدماء، ظلوما واعانه على ذلك قاضي المدينة عمر بن زرقاج، وقد عان الناس في باجة في عهده معاناة كبيرة. (أنظر :ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص ص128-129)

[3]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص127- 128،أنظر أيضا:ميراندا، المرجع السابق، ص ص 256-257.

[4]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 129،أنظر أيضا:ميرندا، المرجع نفسه، ص 257.

[5]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص ص129-130.

[6]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 427.

غزوة مدينتي طلبيرة وطليطلة:

مثلما قام ملك قشتالة بعقد اتفاقية مع ملك أرغون، عقد اتفاقية أخرى مع ملك ليون فرناندو الثاني في مدينة ساهوجون سنة 553هـ/1158م، واتفقا على إقامة السلام بينهما والتعاون معاً على جميع أعرائهما، وكذلك تقسيم البلاد الإسلامية في الأندلس بينهما، حيث حصل ملك ليون على حق غزو المناطق الواقعة بين أشبونة ولبلة حيث تضم لبلة ومتنانجش وبطليوس وشلب ويابرة وميرتلة وماردة وأشبونة، إضافة إلى إقليم اشبيلية[1].

ومن أجل تحقيق هذه الغاية ساهم ملك ليون في انشاء فرق العسكرية التابعة للجمعيات الدينية التي عرفت بحماس شديد اتجاه مقاتلة المسلمون حيث ظهرت الجمعية الأولى سنة 551هـ/ 1156م، عندما اتفق فارسان هما **سويرو وجوميث** على أن ينذرا بحياتهما لقتال المسلمين فالتحق بهم كثير من النساك والزهاد والأساقفة والفرسان ممن وهبوا أنفسهم لتلك الغاية وعرفوا بجماعة **سان جوليان دل بربرا** ثم تحول اسمها **فرسان القنطرة**، كما بارك " البابا إسكندر الثالث"[*]، هذه الجمعية سنة 571هـ/1176م[2].

لم يقف دور البابوية عند هذا الحد بل حرضوا على قيام جمعية أخرى هي جمعية القديس **ياقب** التي ضمت كبار اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يعيشون حياة همجية، ثم تابوا على يد رجال الدين المسحيين وعينوا **بيدرو فيرناندير** قائداً لهم[3]، وقام فرسان هاتين الجمعيتين بغزو الأندلس وتحقيق عدة انتصارات، كما كانوا يشاركون في الجيوش المسيحية فعني بهم " **فرناندو الثاني**" ملك ليون عناية خاصة فأعزق عليهم الأموال والهبات والاقطاعيات الشاسعة في أنحاء مملكته، كما عنيت البابوية بهم فمنحهم " **البابا إسكندر الثالث**" والبابا "**أنوسنت الثالث**"[*]، كثيراً من الهبات والامتيازات الدينية مما أدى إلى ازدياد الحماس الديني عند المسحيين من أجل قتال المسلمين[4].

---

[1]مراجع عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص 104.

[*]البابا إسكندر الثالث: اسمه الحقيقي أولاندو باندلي ولد سنة 1105 بمدينة سيينا الإيطالية، تولى منصب البابا يوم 7 سبتمبر 1159م، بعد وفاة البابا أدريان السادس، واصل الصراع الطويل الذي كانت تخوضه البابوية ضد الإمبراطورية الرومانية وكذلك عرف بذكائه الشديد للحروب الصليبية سواء في الشرق أو في الأندلس، توفي يوم 30 أوت 1181م،(أنظر :سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د : ط 1976، ص348).

[2]هشام أبو رميلة،المرجع السابق، ص 304.

[3]هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 305.

[*]أنو سنت الثالث (1160م-555هـ/ 1216م- 613هـ)، ولد في أجناني بإيطاليا واسمه الأصلي لوثر السيجاني من أبرز باباوات القرون الوسطى عرف عنه النشاط الكثيف من أجل إعادة احياء قوة السلطة البابوية حيث عمل بجهد كبير لفرض سيطرتها على العديد من المماليك المسيحيين التي كانت خارجة عنه عن طريق سن القوانين والشرائع التي تثبت ذلك من جهة وكذلك التي تنظم عمل السلطة البابوية من جهة أخرى، كما كان متحمساً جداً لفكرة الحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس،(أنظر: سعيد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 198).

[4]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 305.

في سنة 563هـ/ 1168م، عرض ملك ليون معاهدة سلم مع الموحدين لكن سرعان مانقضها سنة 568هـ/1173م عندما عرض قواده وفرسان تلك الجمعيات على غزو أراضي المسلمين، خرجت حملة قشتالية من مدينة آبلة*، بقيادة حاكمها الكونت خيمينو*، مخترقة أراضي الأندلس ناحية الجنوب، وذلك في أوائل شهر شعبان سنة 568هـ/1173م، وقد وصلت هذه الجملة إلى الواد الكبير بقرطبة في تلك النواحي قتلاً وسبياً وقد أسر القشتاليون أكثر من مئة وخمسين رجلاً وأخذوا من الماشية نحو خمسين ألف من البقر نحو مائتين[1].

وفي خضم هذه الأحداث أمر الخليفة يوسف عندما وصلت أنباء هذه الحملة بالاستعداد لمحاربة القشتاليين، وجهز جيشاً بقيادة ولده **أبي زكريا يحي** ومعه أخوه **أبو إبراهيم إسماعيل**[2]، وأمره بالتوجه لصد هذه الحملة المدمرة، وقد خرج هذا الجيش مع الشيخ **أبا حفص عمر بن يحي الهنتاني** واتفقوا على ضرورة اللحاق النصارى الذين كانوا آنذاك منصرفين إلى بلادهم وتوقفوا **بفحص كركوي** على مقربة من قلعة **رباح** وقد أرسل الجيش الموحدي أمامهم **حملة استطلاعية** بقيادة **الحافظ أبا عمران موسى بن حمو الصنهاجي** صاحب يابرة وعاد اليهم يوم الأربعاء التاسع عشر شعبان 568هـ/ 4 أفريل 1173م بأخبار تعلمهم بتواطؤ الكونت خيمينو وجيشه في القيل، فتوجهوا إلى المكان المذكور لقتالهم فاستعجل النصارى مغادرة المكان فتبعهم الموحدون واشتبكوا معهم في معركة عنيفة انهزم فيها النصارى وقتل الموحدون قائدهم الكونت خيمينو واستولوا على غنائم المسحيين وفكوا أسرى المسلمين وبعثوا إلى الخليفة يخبرونه بهذا النصر ففرح لذلك كثيراً وأثنى على جنده، ودب الذعر في صفوف النصارى وقد حمل رأس الكونت خيمينو إلى الخليفة يوسف بإشبيلية وكان ذلك يوم السبت الثاني والعشرين بن شعبان 568هـ/ 7افريل 1173.

وعلى إثر هذا النصر الذي تلا فشل حملة وبذة تشجع الموحدون أكثر من ذي قبل في الاضطلاع بغزو أراضي قشتالة وباقي المماليك النصرانية، والتي من بينها ملك ليون فقد استرد كافة الحصون التي استولى عليها الليونيون طيلة ثلاثين سنة.

فقام الخليفة يوسف بتجهيز حملة عسكرية قوامها (أربعة ألاف فارس) من الموحدين والأندلسيين والعرب بقيادة **أبي يعقوب يوسف بن أبي عبد الله تيجيت، وعبد الله بن أبي إسحاق بن جامع**، وكلفت هذه الحملة قبل اتجاهها

*آبله: مدينة من غرب الأندلس، أصبحت تابعة لمملكة البرتغال في هذه الفترة. (أنظر: الادريسي، المصدر السابق، ص 164)
*سانشو خيمينو: معروف بأبي برذعة، كما عرف المقومس الأحدب، وقد كان بالفعل أحدباً، وعرف بأبي بذرعة لأنه كان يركب على برذعة من الغارات المخربة في ربوع الأندلس، (أنظر :ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 322، محمد عنان، المرجع السابق، ص ص 87-88).
[1]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص428-429.
[2]ابن صاحب الصلاة،المصدر نفسه، ص ص 429 -430.

إلى أراضي قشتالة لقتال العدو، أن تتجه لحمل **المؤونة** إلى بطليوس بغرب الأندس، فوصلوا إلى بطليوس على ثلاثة ألاف دابة من القمح والشعير والدقيق والزيت والملح والآلات وسلمت إلى قائدها **أبي غالب بن أبي الحسين بن الموصلي**[1].

بعد تسليم هذه المؤونة اتجهت هذه الحملة نحو الشمال الشرقي للأندلس باتجاه مدينة طلبيرة، ولما وصلوا اليها قاموا بالإغارة عليها وعلى بسائطها، واستولوا على ثلاثين ألف من البقر والغنم، وكل ما وجدوه، وقتلوا رجال النصارى وأسروا بعضهم وعادوا سالمين إلى اشبيلية[2].

ثم خرجت حملة أخرى وسارت إلى أراضي طليطلة وعاثت فيها وفي أحوازها واستولى الموحدون خلالها على غنائم كثيرة، وأذاقوا النصارى الويل[3]، ولم تجد هذه الحملة أية مقاومة من قبل القشتاليين مثل سابقتها[4].

وأثر هاتين الغزوتين سارع ملوك النصارى إلى عقد الصلح مع الموحدين، بعدما أدكوا أن موجة الغزو الموحدي قد تشتد وتصبح أكثر دموية، فجنحوا إلى المسالمة وطلب المهادنة[5].

كان أول من طلب الهدنة والصلح مع الموحدين حاكم طليطلة الكونت نونو دي لارا ثم ألفونسو الثامن ملك قشتالة الذي بعث برسالة إلى الخليفة يوسف، وحذا حذوهم ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز وأرسل بدوره رسالة يطلب الهدنة، وقد حلت البعثات بإشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/ 1173م، بعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة يوسف توقيع الهدنة مع هؤلاء الملوك[6]، وكانت مدة الهدنة مع ألفونسو هنريكيز خمس سنوات[7].

وإثر هذه الأوضاع سارع المغامر جيرالدو سمبافور بدوره بعقد تحالف مع الموحدين لأنه شعر بأنه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة[8]، فاضطر إلى الدخول في طاعة الخليفة الموحدي الذي قبل التماسه، وأحسن اليه

[1]ميراندا، المرجع السابق، ص261.
[2]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 436.
[3]ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 436.
[4]ميراندا، المرجع السابق، ص261.
[5]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 89.
[6]ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 436-437.
[7]ميراندا، المرجع السابق،ص262.
[8]محمد عنان، المرجع السابق، ص 90.

وأكرمه وأخذه معه إلى مراكش سنة 571هـ/ 1176م وأسكنه السوس، وعندما ثبت خيانته باتصاله سراً مع ملك البرتغال ألفونسو هنركيز وضبطت بعض المراسلات بينهما فتمت تصفيته مع أصحابه جميعاً[1].

أثارت هذه الانتصارت الموحدية استياء البابا (إسكندر الثالث) الذي ناشر المسيحيين الاسبان على مواصلة قتال المسلمين وجعل لكل من يستجيب لندائه الغفران والبركة[2].

انتهز ملك ليون هذه الدعوات البابوية وكذلك عبور الخليفة إلى المغرب فكثف من غزواته على أراضي المسلمين دون أن يحقق نصراً حاسماً فقد كان يضرب الحصار على عدة مدن دون أن يدخل اليها واستمر هكذا حاله إلى أن شارك مع البرتغاليين في معركة شنترين التي هزم فيها الموحدين[3].

ظروف معركة شنترين:

بدأ الخليفة الاستعداد للعبور إلى الأندلس لتصدي حركة الاسترداد المسحي بها، في منتصف عام 579هـ/ 1183م[4]، وقد أدرك أنه في الأعوام الثلاثة أو الأربعة الأخيرة التي سبقت هذا التاريخ، فقد اشتدت وتفاقمت الغزوات النصرانية على أراضي المسلمين، فقد كان ملك قشتالة يهدد مدن قرطبة واشبيلية بغزواته المتكررة، وقد وصلت بقواته جنوباً حتى غرناطة ومالقة ورندة[5]، كما أن غزوات البرتغاليين لم تتوقف وكانت أكثر شدة وأحرزوا بعض الانتصارات على الموحدين في البر والبحر[6].

كما تيقن الخليفة من ضعف الجهة الدفاعية الموحدية بالأندلس وقصورها عن رد عدوان النصارى المتكرر بالخصوص عام 579هـ/1183م، فقرر العبور بنفسه وتنظيم حملة عسكرية ضخمة ضد المماليك النصرانية وبالخصوص على مملكة البرتغال[7].

كما شرع الخليفة في الخامس جمادى الآخر 579هـ/ 25 سبتمبر 1183م بتمييز أجناد الموحدين والعرب وجميع القبائل استعداداً للغزو، وأمر بصنع عشرة مناجيق، وأن يرمي بها الجند أمامه في منطقة البحيرة خارج مراكش.

---

[1]البيدق، المصدر السابق، ص 132.
[2]الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 135، أنظر أيضا:هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 310.
[3]هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص310.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص155.
[5]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص324.
[6]محمد عنان، المرجع السابق، ص ص 113-114.
[7]ميراندا، المرجع السابق، ص 281.

وتمهيداً لحركة الغزو قام الخليفة بتوليه أبناءه الأربعة على قواعد الأندلس، فجعل أبو إسحاق على ولاية اشبيلية، وأبو زكرياء يحي على ولاية قرطبة، وأبو زيد لولاية غرناطة، وأبو عبد الله لولاية مرسية، كما ولى مجموعة من القضاة على مدن الأندلس[1]، وأمر الجميع بالجواز الأندلس في السابع والعشرين شعبان من نفس السنة[2].

في الخامس عشر من رمضان جمع الجيش وقسم السلاح والعتاد بينهم وعندما اكتمل التحضيرات خرج بموكبه من باب دكانه من مراكش يوم الخامس والعشرين شوال 579هـ/11 فيفري 1184م[3]، ووصل إلى رباط الفتح في 28 فيفري1184م، وبعد أسبوع من مكوثه هناك وصل أبو محمد بن أبي اسحاق، وابن جامع من إفريقية بعدد من فرسان[4].

ثم عقد الخليفة اجتماعاً تشاورياً مع شيوخ الموحدين والعرب وكبار القادة الذي أجمعوا رأيهم بتوجيه حملة إلى الأندلس لغزو النصارى والجهاد في سبيل الله[5]، وكتب إلى ولاة الأندلس أن يستعدوا للجهاد ولاستقبال هذا الجمع من الجند.

ثم عبر البحر إلى الأندلس يوم الخامس صفر سنة 580هـ/ 17 ماي 1184م، بعدما عبر جميع الجيش قبله، وقد نزل بجبل طارق ثم ارتحل منه إلى الجزيرة الخضراء، ومنها إلى اشبيلية التي وصلها يوم الثالث عشر صفر 580هـ/ 25 ماي 1184م، وخرج الجميع لاستقباله ومنهم القاضي أبا بكر بن الجد[6].

ونظراً لحرص الخليفة يوسف على جهاد المماليك المسيحية وتنفيذ خطة الغزو بسرعة فائقة فقد أمر في اليوم الثاني من وصوله إلى اشبيلية بتمييز العساكر وترتيبها وتوزيع السلاح والعتاد عليهم، ويذكر الحميري أن عدد الجيش الذي اجتمع في اشبيلية كان أربعون ألفاً من أجناد العرب الفرسان، ومن الموحدين والجنود المتطوعة وفرسان الأندلس وأجنادها مايزيد عن مائة ألف فارس[7].

---

[1]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 324.
[2]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 156.
[3]ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصورة للطباعة و الوراقة ،الرباط ،د:ط، 1972، ص 213.
[4]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص ص 213-214
[5]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 157.
[6]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 159.
[7]الحميري، المصدر السابق، ص 346.

ويذكر أشباخ نقلاً عن بعض الروايات النصرانية أن هذه الجيوش المجتمعة كانت تفوق في الكثرة أي جيش آخر قادة ملوك افريقية إلى الأندلس، وهو يزيد بمقدار ثمانية وسبعين ألف مقاتل عن أعظم جيش قاده المسلمون من افريقية إلى الأندلس منذ عهد طارق بن زياد[1].

ولما اكتملت الاستعدادات استقر الرأي بأن تكون وجهة الغزو مدينة شنترين البرتغالية[2].

غزوة شنترين واستشهاد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن:

خرج الخليفة يوسف مع جيشه الجوال الذي اكتمل جاهزيته من اشبيلية يوم السادس والعشرين صفر 580هـ/ 7 جوان 1184م[3]، متجهاً نحو مدينة شنترين بغرب الأندلس[4]، وكانت أمنع المدن[5]، وقد بادر الخليفة يوسف لغزو شنترين على جناح السرعة[6]، لكي لا يترك للنصارى وقتاً لتسلح وإصلاح القلاع وتزويدها بحاميات كبيرة ومقادير احتياطية من المؤن، والنزول إلى ميدان الحرب بجيش حسن الأبهة[7].

لكن الجيوش الموحدية سارت من اشبيلية في روية حتى وصلت إلى بطليوس بعد حوالي عشرة أيام، فأمر الخليفة بالنزول بها لاستكمال الاستعدادات، بتمييز الجند ولبس السلاح وجلب ما ينقص من المؤن والميرة.

وفي العاشر ربيع الأول 580هـ/ 21 جوان 1184م، وحل الجيش الموحدي من بطليوس مخترقاً نهر التاجة، فوصل شنترين يوم السادس عشر ربيع الأول 580هـ/ 27 جوان 1184م، فعسكر الجيش بالجبل المطل على المدينة من ناحيتها الشرقية والجنوبية[8]، وشرع في حصارها والتضييق عليها[9].

وفي نفس الوقت الذي كان الجيش الموحدي يحاصر شنترين براً، كان أسطولهم محاصر مدينة أشبونة من البحر بقيادة أبو عباس الصقلي وقد حاصرها مدة عشرين يوماً[10]، وللأسف الشديد فالمصادر التاريخية لم تذكر وقائع هذا

[1] أشباخ يوسف، المرجع السابق، ج2، ص72.
[2] معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 84.
[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 160.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، دار الصادر، مج 10، ص 126، أنظر أيضا: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 182.
[5] المراكشي، المصدر السابق، ص 182.
[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 159-160.
[7] أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 72.
[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 5، ص 160.
[9] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 214.
[10] الحميري، المصدر السابق، ص 346.

الحصار ونتائجه، واكتفى أشباخ بالقول: أن الأسطول الإسلامي الذي وصل إلى أشبونة مشحوناً بآلات الحصار والتخريب، بادر إلى الفرار حينما علم بنبأ الهزيمة التي حلت بالموحدين في شنترين[1].

وبالعودة للحديث عن حصار شنترين فقد بات الخليفة يوسف بمعسكره يوم وصوله مكتفياً بالحصار والتضييق على المدينة، ويذكر المراكشي أنه قام أيضاً بقطع ثمارها وافساد زروعها، وشن الغارات على نواحيها[2]، وكان البرتغاليون قد تحصنوا بالمدينة وقد ملئت قلوبهم ذعراً وحسرة[3]، وقد جاء ملكهم ألفونسو هنريكيز رفقة قواده وسائر أتباعه إلى المدينة وملأها أقواتاً وسلاحاً وجميع ما يحتاج اليه، وكان واثقاً من حصانة شنترين وشده منعتها[4].

أمر الخليفة أن يتقدم الجيش حتى أبواب المدينة، واقتحموا الربض الخارجي للمدينة وأوقدت النيران فيه وبات الجند في تلك الليلة على أحسن حال، في الغد صلى الناس الصبح وأمر الخليفة بالتأهب للقتال، فوقع القتال بين الطرفين وسيطر المسلمون خلاله وبصفة كاملة على الربض الخارجي للمدينة، وهزم من خرج من النصارى من قصبة المدينة وهدمت الكنيستان اللتين به وهدمت أحياءه المتصلة بالسور، وارتد من نجا من المدافعين إلى داخل القصبة[5].

في صبيحة يوم الغد، تجدد القتال بين الطرفين واستمر إلى غاية الحادي والعشرين ربيع الأول 580هـ/ 2 جويلية 1184م، وكانت المعارك بينهما ضاربة، وفي ذلك اليوم أمر الخليفة يوسف أن يتوقف القتال وأن يغير الجيش موضعه نزوله إلى موضع آخر أي الانتقال من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية من مدينة شنترين[6].

فأحدث هذا الموقف من الخليفة دهشة وحيرة لدى الجيش الموحدي، وأنكروا عليه ذلك ولم يعرفوا له سبباً[7]، فظهر الخلل في صفوف الجيش الموحدي وانقطعت لديهم الأمال[8].

وقد اعترض بعض القادة على هذا القرار خوفاً من تطويق من جانب الأعداء وتعرض الجيش الموحدي إلى الخطر[9]، ولكن إرادة الخليفة هي التي نفذت دون سواها[10].

---

[1]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 75.
[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 182.
[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 5، ص 160.
[4]ابن عذارى،المصدر نفسه، ج5، ص182،أنظر أيضا: ميراندا، المرجع السابق، ص ص 291-292.
[5]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص160-161.
[6]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 161.
[7]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 214.
[8]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 168.
[9]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص73.
[10]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 214-215.

ويذكر ابن أبي زرع أن الخليفة أمر أبي إسحاق والي اشبيلية بالرحيل لغزو مدينة أشبونة، وشن الغارات على أنحائها، وأن يسير اليها بجيوش الأندلس خاصة ويكون رحيله نهاراً، فأساء والي اشبيلية الفهم وظن أن والده أمره بالرحيل في جوف الليل فانتشر الخبر بين الناس وتأهبوا للرحيل، فرحل منهم طائفة بالليل[1]، فلما اقترب فجر الغد ارتحل والي اشبيلية أبو إسحاق وتتابع الناس بالرحيل في حين كان الخليفة يوسف يراوح مكانه في خيمته لا علم له بذلك[2].

ولما طلع النهار لم يجد الخليفة حوله أحد إلا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله، وقواد الأندلس لأنهم كانوا يمشون أمام ساقته وخلف محلته فاستغل النصارى المحاصرين هذا الوضع وفتحوا أبواب المدينة وخرجوا جميعاً، وهجموا على معسكر الموحدين وكانوا ينادون بالاتجاه ناحية الخليفة يوسف لقتله، وبالفعل اقتحموا خباءه فقاتلهم بسيفه حتى قتل منهم ستة رجال، ولكنهم طعنوه طعنة نافذة، ولكن استطاع جند الموحدين أن ينقذوا الخليفة، بعد قتال شديد استمر لمدة ساعة ودارت الدائرة في الأخير على النصارى فاضطروا اللجوء إلى مدينة شنترين للتحصن بها، وقد قتل المسلمون منهم عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين جماعة، وارتد البقية بعد أن قرعت الطبول إلى اشبيلية وهذا حسب رواية ابن أبي زرع[3].

وتختلف رواية ابن عذارى قليلاً عن رواية ابن أبي زرع حيث يذكر أن الخليفة يوسف أمر الجيش بالارتحال عن شنترين ليلاً بعدها أدرك صعوبة فتحها[4]، فوقع اضطراب وخلل كبير أثناء عملية الرحيل، حيث اعتقد الناس أن الخليفة بادر بالرحيل عند السحور وسبقهم في ذلك، فسارع الجميع باللحاق به في اضطراب كبير، ولكن عند بزوغ الفجر كان الخليفة جاثماً في مكانه ولم يجد حوله أحد ماعدا قلة قليلة منهم ولده يعقوب المنصور فطلب منهم الرحيل، فلحق بهم جيش النصارى المتحصن بالمدينة فقتلوا جملة من أعيان الموحدين ورؤساء الأندلس[5].

وقد أغار الموحدون في طريق رحيلهم إلى اشبيلية على كل موضع مروا به منها حصن طُرَش الذي استقوا منه غنائم كثيرة، وكان آنذاك الخليفة يوسف طريح الفراش بسبب إصابة تلقاها عندما هاجم النصارى والموحدين، وقد توفي

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 163
[2]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص214.
[3]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص ص 214-215.
[4]ابن عذارى،المصدر السابق، ج5، ص163.
[5]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص ص 163- 164.

في طريق إلى اشبيلية يوم الثامن عشر ربيع الأول 580هـ/ 29 جويلية 1184م، وحمل إلى المغرب ودفن في تينملل بجوار والده عبد المؤمن وابن تومرت[1].

وبالرغم من اختلاف هذه الروايات فيما بينها الا أنها تتفق في هزيمة الموحدين في آخر المطاف، وعدم تمكنهم من فتح شنترين وانسحابهم إلى اشبيلية بعد أن فقدوا خليفتهم الذي توفي متأثراً بجراحه.

[1]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 185، أنظر أيضا:ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 136.

الفصل الثالث:

المواجهة الموحدية مع القوى الصليبية بالأندلس

المبحث الأول: حكم يعقوب المنصور وحروبه مع المماليك النصرانية.

المبحث الثاني: حكم محمد الناصر وحروبه مع المماليك النصرانية.

المبحث الثالث: نظرة عامة للأندلس بعد معركة حصن العقاب.

المبحث الأول: حكم يعقوب المنصور وحروبه مع المماليك النصرانية

- **ظروف استرجاع مدينة شلب:**

تمت مبايعة "يعقوب المنصور" بالخلافة*، عشية وفاة والده يوم الثامن عشر ربيع الآخر سنة 580هـ/ 29 جويلية 1184م، وقد كانت بيعته بيعة خاصة شملت اخوته وكبار مشايخ الموحدين، وحدثت هذه البيعة عند انسحاب الجيش الموحدي من حصار شنترين، وقد كتمت وفاة الخليفة يوسف وعندما وصل الجيش إلى اشبيلية تمت مبايعة عامة جمادى الأولى 581هـ/ 10 أوت 1184م[1].

عندما تمت البيعة له، شرع الخليفة يعقوب المنصور بتنظيم شؤون دولته المترامية الأطراف وعمل على اكتساب الرعية بإخراج مقادير كبيرة من الأموال وتوزيعها على الفقراء، كما أمر بإسقاط المكوس التي لم يتم أداؤها، وأكرم الفقهاء والقضاة والصلحاء وأنفق عليهم الأموال من بيت المال، وأوصى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاة وتفقد أحوال بلاده ورعيته بنفسه، وحارب الفساد واللهو والبدعة وأقام العدل[2].

كما قام بضبط الثغور وشحنها بالخيل والرجال، وأعطى للجند الموحدين ولسائر الأجناد أموالاً كثيرة[3] وأعماله هذه في الواقع لم تقتصر على بلاد المغرب بل شملت أيضاً بلاد الأندلس خاصة الشق المتعلق بضبط الثغور[4].

وتشير إلى أن الخليفة الجديد يعقوب المنصور أنفق خمس سنوات قبل أن يستطيع استئناف الجهاد في الأندلس[5]، فخلال هذه المدة اشتغل بالخصوص بقمع ثورة بني غانية في بجاية وعموم المغرب الأوسط وافريقية حيث كانت هذه الثورة من أخطر الثورات التي كادت أن تقوض من صرح دولة الموحدين[6].

وما كاد الخليفة يعقوب المنصور يعيد السكينة إلى بلاد المغرب[1]، حتى فكر في أمر الجهاد ضد المماليك النصرانية بالأندلس، وبدأ في الاستعداد للعبور بنفسه اليها، وقد قرر العبور للأندلس لعدة أسباب منها:

---

*يعقوب المنصور: هو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن على الموحدي الكومي ،القسي المراكشي الظاهري ،صاحب بلاد المغرب، ولد سنة 555ه، وهو ثالث أمراء الموحدين، حكم سنة 580ه-595ه/1199م -1184م،(أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية ،بيروت، د :ط،2004، ص، ص 42-45).

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 171، أنظر :ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص217.

[2]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص77.

[3]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص217.

[4]توفيق مزاري عبد الصمد، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين، منشورات دار الثقافة حسن الحسين ، الجزائر ، د :ط، ، 2010، ص 149.

[5]توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع نفسه، ص 149.

[6]المراكشي، المصدر السابق، ص ص 189 -190.

تفاقم هجمات النصارى على بلاد الأندلس والقيام بالعديد من الغارات على أراضي المسلمين بالخصوص في غرب الأندلس ووسطه، وفي غرب الأندلس قام الملك الجديد للبرتغال سانشو الأول[2]، بمهاجمة أراضي المسلمين فاستولى بمساعدة الأسطول الصلبي المتجه إلى المشرق الإسلامي[3]، على قصر أبي دانس، ومدينة شلب يوم العشرين من رجب 585هـ/ 3 سبتمبر 1189م[4]، وقد كان لسقوط هذه الأخيرة وقع كبير وضربة موجعة للموحدين، فقدوا بسقوطها آخر معاقلهم في تلك المنطقة الحساسة والجدير بالذكر أن ملك البرتغال قد أرسل جيشاً إلى **باجة** و **يابرة** فاستولى عليهما[5]، ففتح له الطريق لتهديد بقية ولايات غرب الأندلس مثل: **ولبة** و**لبلة** واشبيلية[6].

كما استغل ألفونسو الثامن نفس الظروف فشن الغارات على أراضي الموحدين بالأندلس وفي نفس الوقت التي سارت فيه القوات البرتغالية والصلبية لافتتاح شِلب، خرج ألفونسو الثامن في قواته نحو منطقة قرطبة، ثم اكتسح البسائط شرقاً نحو اشبيلية وهو يعبث فيها قتلاً وسلباً واستولى على حصن المنار*، ومدينة ربينة التي قتل معظم سكانها وأسر الباقين، واستمر في حملته حتى قلعة جابر ثم حصن شلير*، وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة 585هـ/ أوت 1189م[7].

ومن الأسباب التي ساهمت في اقتناع الخليفة يعقوب المنصور للعبور إلى الأندلس، وصول نداء الاستغاثة من أهلها، فقد بعث **أبو يوسف يعقوب بن أبي حفص** والي اشبيلية إليه يخبره باعتداءات النصارى وغزواتهم على أراضي المسلمين، ويطلب منه المدد للتصدي لهذا العدوان[8].

لما وصل إلى الخليفة يعقوب المنصور نداء الاستغاثة، بدأ في التأهب للعبور إلى الأندلس واستئناف الجهاد، ولما اكتملت الاستعدادات بالمغرب خرج الخليفة في الرابع عشر من ذي الحجة سنة 585هـ/ 23 جانفي 1190م من

---

[1]محمد عنان، المرجع السابق، ص 159، أنظر ايضا: توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ص ص 128-129.
[2]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 33، أنظر أيضا: محمد عنان، المرجع السابق، ص 770
[3]المراكشي، المصدر السابق، ص 199،أنظر أيضا: الحميري، المصدر السابق، ص ص 342-343.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 205، أنظر أيضا: الحميري، نفسه، ص 342.
[5]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 219.
[6]محمد عنان، المرجع السابق، ص 174.
*حصن المنار: حصن بالأندلس قريب من مدينة مكة، وهو على ضفة البحر المحيط من الغرب والجوف (انظر الحميري، المصدر السابق، ص 202)
*شلير: هو جبل الثلج مشهور بالأندلس، وهو جبل البيرة، وهو متصل بالبحر المتوسط، وفي غاية الارتفاع، والثلج به دائماً في الشتاء والصيف، وفي حضيض هذا الجبل حصون كثيرة، منها حصن فريرة، وحصن دلر (انظر: الادريسي، المصدر السابق، ص 294).
[7]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 202-203، أنظر أيضا :ميراندا، المرجع السابق، ص ص 332-333.
[8]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329، أنظر أيضا:محمد الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص 189.

مراكش، وقد أرسل قبل خروجه كتابه إلى اشبيلية وسائر مدن الأندلس بأمر ولاتها بالاستعداد لاستقبال هذه الجيوش والحشود ويعدهم بالنصرة على عدوهم، سار إلى رباط الفتح وبقي أربعين يوماً حتى وصل باقي الحشود والقبائل[1].

وفي أواخر شهر محرم سنة 586هـ/ أوائل مارس 1190م، تحرك المنصور بقواته من رباط الفتح إلى قصر مصمودة*، وبقي حوالي شهرين، وأمر الجيش ببدأ الجواز إلى الأندلس في الخامس عشر من ربيع الأول.

وبعد عبور جميع قواته، عبر المنصور البحر في الثالث والعشرين ربيع الأول 586هـ/ 1 ماي 1190م[2] ونزل بجزيرة طريف وهناك أقبلت وفود بعض البلاد المجاورة للسلام عليه ورفع المظالم والشكاية على ولاة أمورهم فأعرض المنصور عن شكايتهم، وقال انما نبدأ بغزو المفترين من أطراف الأنام[3]، ثم تحرك بجيشه من جزيرة طريف في جمادى الأول سنة 586هـ/ 8 جوان 1990م شمالاً إلى أركش، ومنها إلى قرطبة[4].

- **استرجاع مدينة شِلب:**

لما وصل الخليفة يعقوب المنصور إلى قرطبة، بعث إلى أبو يوسف يعقوب بن أبي حصن يأمره بجمع عساكره وسائر الحشود ويتجه بها إلى شلب، فتحرك والي اشبيلية بمجموعة من الجند في جمادى الأول عام 586هـ/ 6جوان 1190م، من اشبيلية وسار حتى وصل إلى مدينة شِلب وعسكر بظاهرها[5].

في الثلاثين من جمادى الأول 586هـ/5 جويلية 1190م، وصلت السفن الموحدية إلى شاطئ مدينة شِلب وحاصروها براً وبحراً، حيث نصبوا عليها المناجيق والآلات الحربية، وضيقوا عليها الحصار[6].

أما الخليفة يعقوب المنصور فقد كان بقرطبة يستقل رسل مماليك المسحية، فقد وصل رسول من ملك قشتالة ألفونسو الثامن إلى قرطبة للتفاوض من أجل توقيع الهدنة مع الموحدين، فاستجاب الخليفة لمطلبه، وارتاح لهذا الانقسام

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 203.
*قصر مصمودة: يسمى أيضا قصر المجاز أو القصر الصغير، يقع في قرية صغيرة بإقليم تطوان بتراب قبيلة أنجرة بمضيق جبل طارق (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 218، الهامش 136)
[2]ابن الأثير،المصدر السابق، مج10، ص ص 199-200، أنظر أيضا:ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329.
[3]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 204.
[4]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص ص 204-205.
[5]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص ص 204-205.
[6]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 205.

في صفوف العدو، ووقع الهدنة مع ملك قشتالة[1]، كما جدد الهدنة مع مملكة ليون[2]، وبهذه الطريقة تمكن من عزل البرتغاليين الذين أصبحوا وجهاً لوجه أمام الموحدين وهو ما أجبرهم على التحصن داخل قلاعهم[3].

بعد توقيع هذه المعاهدات أمر الخليفة المنصور أبا زكرياء بن أبي حفص أن يسير إلى اشبيلية بقواته من العرب وزناتة وأهل تلمسان ومن يليهم، ويعد العدة هناك ليلتحق بإخوته في طريق الغزو، وكان لخليفة الخليفة المنصور بقرطبة يقوم بتمييز قواته المرتزقة والحشود الواصلة من المغرب، وعندما استكمل الاستعدادات خرج بقواته من قرطبة متجها نحو الشمال الغربي إلى نهر التاجة، وهناك لحقته قوات أبا زكرياء بن أبي حفص[4].

وقد اختار الخليفة التوجه لمهاجمة وسط بلاد البرتغال أي ناحية نهر التاجة وعدم الذهاب إلى شِلب لمساعدة الجيش الموحدي المحاصر لها، فيخفف بذلك الضغط على القوات الموحدية المحاصرة لها ولا تتكرر بذلك مأساة والده يوسف في حصار شنترين[5].

وقد تحرك المنثور بقواته وعبر نهر التاجة، وقام أثنائها باستئناف المزارع الموجودة شمال شنترين وبتخريب ضياعها ثم سار ناحية حصن طُرَش، فقام بحصارها وخلال أيام طلب أهل النصارى الأمان من الخليفة فأجابهم إلى ذلك وغادروا الحصن[6].

فدخله الموحدون وقاموا بتدميره على آخره[7]، ثم هاجموا حصن طمان*، الذي تحميه حامية فرسان المعبد (الداوية) وقد أتلفوا خلال تقدمهم كل المحاصيل الزراعية الموجودة بحقول المنطقة وشرعوا في حصار حصن طمان، وقد دام الحصار أكثر من ستة أيام، ولم يستطع الموحدون فتحه لمناعة أسواره وشجاعة فرسان المعبد الذين استبسلوا في الدفاع عنه وجعلوا احتلالهم أمراً متعذراً دون حصار طويل الأمد[8].

---

[1]ميراندا، المرجع السابق، ص ص 333-334.
[2]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 176.
[3]ميراندا، المرجع السابق، ص 334.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 205-206.
[5]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص ص 205-206
[6]المراكشي، المصدر السابق، ص 199،أنظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329.
[7]ميراندا، المرجع السابق، ص 335.
*حصن طمان :تقع شمال حصن طُرَش، وهي قاعدة منيعة تقع في بسيط، مخصب زاهر، (أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 206،ميراندا، المرجع نفسه، ص 335، عنان، المرجع السابق، ص 177).
[8]ميراندا، المرجع نفسه، ص 337.

ويذكر ابن عذارى أنه أثناء الحصار أرسل ملك البرتغال رسله لطلب المهادنة والسلم، فأمر الخليفة بوقف القتال والانتهاء من الغزو وأمر الجيش المعاصر لشِلب بمغادرة المدينة، فغادرات قوات الموحدين باتجاه اشبيلية ووصلت في الحادي عشر جمادى الآخرة سنة 286هـ/ 17 جويلية 1190م[1]،ولم تسفر هذه الغزوة التي استغرقت حوالي شهر ونصف عن نتائج تذكر، ولم تحقق أهدافها المرجوة باسترجاع مدينة شِلب[2].

وكان سبب الانسحاب حسب رواية ابن عذارى أن الخليفة يعقوب المنصور كان يريد غزو بلاد ملك البرتغال ويزحف إلى غاية أحوار عاصمته قُلمريَة، بكن شعر بتوعك تمدى أمره[3]، ورأى أن جيشه قد أثر فيه الغلاء وأنهكه[4]، وكما كانت تحمل إليهم على خط تموين طويل يمتد من قرطبة، بعكس البرتغاليون الذين استطاعوا قبل الغزو أن يحصدوا معظم زروعهم، وأن يختزنوا المؤن الكافية[5].

وهناك رواية أخرى لابن أبي زرع، مفادها أن الخليفة يعقوب المنصور جاز إلى الأندلس الثالث من ربيع الأول 585هـ/ 20 أفريل 1189م، ونزل بجزيرة الخضراء ومنها اتجه إلى شنترين، وشن غارات على مدينة أشبونة وأنحائها، فقطع الثمار وقتل وسبى وأضرم النيران في القرى وحرق الزرع وبالغ في النكاية وانصرف إلى العدوة بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية، فوصل مدينة فاس في الثلاثين رجب سنة 585هـ/ 12 سبتمبر 1189م[6].

ورواية ابن أبي زرع هذه تقول إن الخليفة يعقوب المنصور لم يسترجع مدينة شِلب، بل عاد إلى المغرب وهذه الرواية تفندها الروايات الأخرى خاصة رواية ابن عذارى وابن خلدون، حيث يذكران أن الخليفة لما عاد من من حملة طُرش وطمان استقر باشبيلية[7]، واستعد من جديد لمحاولة استرجاع شِلب[8]، لأن استرجاع هذه المدينة كان هو الهدف الرئيسي الذي عبر من أجله إلى الأندلس.

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 206.
[2]معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع نفسه، ص 190.
[3]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 206.
[4]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 206.
[5]عنان، المرجع السابق، ص 178.
[6]أبي زرع، المصدر السابق، ص 218.
[7]عنان، المرجع السابق، ص ص 181-182.
[8]ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 210، أنظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329.

وقد تحرك بقواته من اشبيلية في غرة ربي الآخر علن 587هـ/ 28 أفريل 1191م[1]، وعبر نهر وادي **آنة** مخترقاً أراضي البرتغال قاصداً قصر **أبي دانس***.

وعلى إثر وصول القوات الموحدية قاعدة الحصن بدأ العبيد وأهل الخدمة بردم الخندق المحفور حول المدينة من جهاتها الأربع، وشرع الجيش في محاولة اقتحام المدينة ولكن دون جدوى، حيث أمطر البرتغاليين المهاجمين بوابل كثيف من النبال والحجارة، فأصابوا عدداً كثيراً من جند الموحدين بالجراح، فأمر الخليفة بإيقاف القتال ثلاثة أيام لكي يستريح الجيش وفي نفس الوقت وصلت سفن الأسطول الموحدي النهر التي تطل عليه مدينة قصر أبي دانس، وبدأ الجيش الموحدي بمهاجمة المدينة يوم الخامس عشر جمادى الأول (587هـ/ 10 جوان 1191م)، حيث اضطر أهلها إلى طلب الأمان ونزلوا من المدينة مستسلمين فحملوا في المراكب وبعثوا إلى اشبيلية ليكونوا هنالك عنوان الفتح فاستولى بذلك الموحدون على المدينة ونُدب لولايتها **أبا بكر محمد بن وزير** وهو **ابن أبي محمد سيدراي بن وزير** زعيم غرب الأندلس السابق[2].

سار الموحدون بعد ذلك إلى حصن قلمانة*، وكان أمنع الحصون هذه المنطقة وله حامية قوية، ولكنهم أيقنوا استحالة المقاومة فعرضوا على الموحدين الاستسلام مقابل الأمان وتركهم ينصرفون إلى بلادهم، فاستجاب المنصور لرغبتهم، فأخذ الموحدون أثاث وأقوات وأسلحة وآلات هذا الحصن ثم أمر المنصور بهدمه[3].

ثم سار الجيش الموحدي إلى حصن المعدن (Almad) فاستولوا عليه، وأمر المنصور كذلك بهدمه ثم اتجه الموحدون بعد ذلك جنوباً إلى مدينة شِلب ووصلوا اليها يوم الثاني من جمادى الآخرة 587هـ/ 27 جوان 1191م[4]، وطبقوا عليها الحصار، وردموا الخندق المحيط بها وضربوها بالمناجيق واستمر الحصار والضرب حتى الخامس عشر جمادى الآخرة فجر تلك الليلة هجم الموحدون على المدينة مستغلين غفلة حراسها وتهاونهم ودخلوا المدينة بالتهليل والتكبير وقرع الطبول، وقد قتلوا وجرجروا من تصدى لهم، وبادر الباقون إلى طلب الأمان وتسليم المدينة[5].

---

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 210.

*قصر أبي دانس، نسبة الى بانيه أبي دانس بن عوسجة المصمودي، وبنو دانس كانوا أصحاب قلنبيرة، أي قصر سادو على مقربة من البحر،(انظر: الادريسي، المصدر السابق، ص 260، هامش 111).

[2]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 210-211.

*قلمانة: هو من القلاع السامية الارتفاع الغربية الارتفاق والانتفاع، (أنظر: ابن عذارى المصدر السابق، ج5، ص 211).

[3]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 211.

[4]الحميري، المصدر السابق، ص 343.

[5]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 211-212.

فضرب لهم الخليفة يعقوب أجلاً قدره عشرة أيام لإخلاء قصبة المدينة، وخرج النصارى من قصبة شِلب سنة 587هـ/ 1191م[1]، وعادت بذلك شِلب إلى حظيرة الدولة الإسلامية بعد أن لبثت في أيدي البرتغاليين منذ سقوطها في سنة 585هـ/ 1189م، زهاء عامين وندب على ولايتها ابن وزير[2].

وقد كان لأبي زرع رواية مختلفة عن كيفية استيلاء الموحدين على شِلب، حيث يذكر أنه في عام 586هـ/ 1190م، استولى النصارى على مدن شِلب[3] وباجة ويابرة مستغلين انشغال الخليفة يعقوب المنصور بالفتن والثورات التي حدثت في افريقية، ولما علم الخليفة بذلك استعظم ذلك وغاظه، وكتب إلى قادة الأندلس وولاتها يوبخهم ويأمرهم بغزو غرب الأندلس، يعلمهم بأنه قادم عليهم في أثر كتابه[4].

فاجتمع قادة الأندلس إلى محمد بن يوسف والي قرطبة فخرج بهم في جيش عظيم من الموحدين والعرب والأندلسيين حتى نزل بمدينة شِلب فحاصرها وشد القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة ويابرة[5] ورجع إلى قرطبة فدخلها بخمسة عشر ألف سبية وثلاثة ألاف أسير من الروم وذلك في شوال 587هـ/ 1191م[6]

بينما يفند ابن عذارى رواية أبي زرع ويذكر أن الخليفة يعقوب المنصور بقي ثلاث أيام في شِلب، ثم غادرها في قوانه يوم الثامن والعشرين من جمادى الآخرة 587هـ/ 22 جويلية 1191م، ووصل إلى اشبيلية وليس إلى قرطبة كما ذكر ابن زرع في الرابع من شهر رجب سنة 587هـ/ 28 جويلية 1191م، وانقضت هذه الغزوة بعد ثلاثة أشهر[7]، وبقي الخليفة المنصور شهرين آخرين في اشبيلية قام خلالهما بتنظيم شؤون الأندلس وتعيين الولاة، وسد الثغور وتحصينها وملئها بالقادة والجنود.

وفي الخامس عشر من شهر رمضان عام 587هـ/ 6 أكتوبر 1191م، عبر إلى بلاد المغرب وبعد ثلاث أيام من مسيرة وصل إلى عاصمة دولته مراكش[8].

[1] ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 212.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329.
[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 219.
[4] المراكشي، المصدر السابق، ص 199.
[5] ابن الأثير، المصدر نفسه، مج10، ص 200.
[6] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 219.
[7] ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 212.
[8] ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 213.

وبقي في الأخير أن نشير إلى أن الرواية النصرانية حول استرجاع مدينة شِلب من قلب الموحدين، تقدم إلينا شيئاً من تلك التفاصيل وتلزم معظمها الصمت بل تزيد على ذلك أن المدينة استطاعت أن ترد جميع هجمات المسلمين بنجاح بواسطة شجاعة حاميتها والإمداد السريعة التي لقيتها من الملكين المتحالفين ملك البرتغال وملك ليون، وكذلك بواسطة معاونة الأسطول الانجليزي[1].

[1]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 80.

1-معركة الأرك*: (591هـ/ 1195م)

1-1وقائع المعركة وسير عملياتها الحربية:

ظروف وأسباب المعركة:

هدأت الحرب في الأندلس حوالي ثلاث سنوات بعد استرجاع الموحدين لمدينة شِلب عام 587هـ/ 1191م، وهذا بسبب توقيع الموحدين الهدنة مع ملك قشتالة ألفونسو الثامن مدتها خمس سنوات[1]، وكذلك تجديد الهدنة مع مملكة ليون، وانشغال الخليفة يعقوب المنصور بإخماد الثورات والفتن في افريقية خاصة ثورة بني غانية[2].

ومن الأسباب الرئيسية لتوقف هذه الحرب وقوع خلاف بين ملوك النصارى في تلك الفترة ،فلم يكن من الميسور أن يفكر أحد في القيام بغزوة مشتركة ضد المسلمين فقد انشغلت البرتغال وليون بقرار **الحرمان البابوي**، كما انشغلت أراغون ونافارا بالخلاف مع جيرانها في فرنسا[3].

ولكن أجواء السلم والهدنة لم تدم مدة طويلة بين الموحدين والقشتاليين، ففي أواخر عام 590هـ/ 1194م، نقض ملك قشتالة ألفونسو الثامن العهد مع الموحدين[4]، حيث إستغل إنشغال الخليفة يعقوب المنصور بشأن افريقية والإستعدادات التي يقوم بها من أجل الخروج في حملة جديدة ضدها[5]، وبمهاجمة بلاد المسلمين، وقد قاد هذه الحملة **مطران طليطلة مارتن دي بسيرجا***، حيث سار على رأس جيش ضخم إلى ميدان الحرب وشجعه ضعف الحاميات الإسلامية على الحدود، فاخترق جبال الشارات(سيراومورينا) ،وسار بجانب نهر الوادي الكبير إلى أعماق الأندلس ودمر جيشه كل شيء، حيث انتسفوا الغلات والكروم وقطعوا أشجار الزيتون وخربوا الضياع والقرى وقتلوا من إعترض طريقهم، وزحفت قوى خفيفة من فرسانهم حتى أحواز اشبيلية واستجه وإلى أقصى جنوب الأندلس وهم يتابعون العبث والتخريب.

---

*الأرك:وهو حصن منيع يقع على حدود مملكة قشتالة مع الدولة الإسلامية الموحدية بالأندلس، بقرية من قلعة رباح أول الحصون الأذفونش، (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 13-14).

[1]ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص 200.

[2]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 217، أنظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329.

[3]أشباح، المرجع السابق، ج2، ص 81.

[4]ابن خلكان، مصدر سابق، ج7، ص5، أنظر أيضا: المراكشي،المصدر السابق، ص200.

[5]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 217، أنظر أيضا: ميراندا، المرجع السابق، ص ص 352-353.

*عين مطران لطليطلة عقب وفاة المطران جونزالوا وكان هذا المطران متحمس لحرب المسلمين،(أنظر: أشياخ، المرجع السابق، ج2، ص 81).

ولم يقتنع ملك قشتالة ألفونسو الثامن بهذه الغزوة التي قادها مطران طليطلة والتي حمل منها إلى طليطلة غنائم عظيمة، فكتب إلى الخليفة الموحدي يعقوب المنصور رسالة من انشاء وزيره اليهودي ابن الفخار[1]، يهدده فيها ويتوعده بالهزيمة، كما يطالبه بالتنازل عن بعض الحصون فأثرت حاميته، وكتب إلى ملك قشتالة يتحداه للقتال[2]، وكتب على ظهر الرسالة قوله تعالى :" ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ"[3]، ثم كتب "الجواب ما ترى لا ما تسمع "[4]، ثم صرف الرسول بالكتاب[5].

لقد إشتد خنق يعقوب المنصور على ملك قشتالة وأخذته غيرة الإسلام فبادر بالتأهب للحرب في الأندلس، كما أمر أن يذاع فحوى كتاب ملك النصارى على الجميع ليثير غيرتهم [6]، وإستطاع الخليفة أن يستنفر الناس والجند المتطوعة والجيش النظامي للجهاد في الأندلس[7]، ثم عبر إلى الأندلس في جمادى الآخرة سنة 591هـ/ جوان 1195[8]، ونزل في جزيرة طريف ثم الجزيرة الخضراء إلى أن إستأنف مسيره نحو إشبيلية، فعسكر بها أسبوعين ورحل عنها شمالاً صوب قلعة رباح*، فعسكر بجيشه على بعد مرحلتين منها[9].

تجهز ملك قشتالة "ألفونسو الثامن" للقاء الجيش الإسلامي، منذ سماعه بعبور الموحدين، فسار بقواته من طليطلة للقاء الموحدين، فتوقف في قلعة الأرك ينتظر وصول الملك ليون بقواته كي يشترك إلى جانبه في القتال ضد المسلمين، ولكن هذا الأخير تأخر في الوصول، فتقدم "ألفونسو الثامن" بقواته، وضرب معسكره، إزاء معسكر الموحدين، وكان جيش ملك قشتالة يتألف من جميع الأجناد الفرسان، والمشاة بالإضافة إلى فرسان قلعة رباح وفرسان الداوية*، فتوفر له ألف مقاتل[10].

---

[1]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 81.

[2]عمر راكة، العلاقات السياسية للدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والمماليك المسيحية في الأندلس 540هـ/ 1145م/668هـ/1269م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، قسم التاريخ، 2011، ص 99.

[3]سورة النمل، الآية 37.

[4]الناصري ، المصدر السابق، ص 167، أنظر أيضا: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 221.

[5]معمر الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص 197.

[6]أبو خليل شوقي، الأرك بقيادة المنصور الموحدي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط1، 1979، ص52.

[7]عمر راكة، المرجع السابق، ص 99.

[8]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 206.

*قلعة رباح: وهي من عمل جيان وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر آنة،(انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 469).

[9]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 260.

*فرسان المعبد: مهمتهم حماية النصرانية ومحاربة المسلمين وبدأ ظهور هذه الجماعة سنة 1118م، وقد اختارت هذه الهيئة جزءاً من هيكل سليمان في المسجد الأقصى ببيت المقدس ومن هنا جاءت تسميتها باسم فرسان المعبد التي حرفت في اللغة العربية إلى كلمة الداوية،(انظر: سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، د : م ، د: ط، 1998م، ص113).

[10] هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 260.

ولما سمع الخليفة بنزول النصارى في قلعة الأرك، توجه إليهم من أجل القتال، ومرت عدة أيام لم يقع فيها إشتباك، حيث كان كل من الطرفين يرسلان سرايا من أجل التجسس على أحوال المعسكر الآخر، فاكتشف الموحدون سرية لملك قشتالة تتجسس عليهم بمقربة من معسكرهم، فقاموا بقتلها عن آخرها[1].

1-2الاستعداد ووضع الخطة:

لم يكن المنصور ليستبد برأيه في التخطيط للمعركة الوشيكة، بل قام بعقد مجلس استشاري للتشاور في أمر الحرب مع كبار رجال دولته وقادته، فإستشار أشياخ الموحدين، ثم العرب ،ثم زناتة ،ثم القبائل الأخرى ،ثم الأغزاز، ثم المطوعة ليخرج من ذلك برأي يضع على أساسه خطة محكمة لهذه المعركة واخيراً دعا قواد الأندلس[2]، وقال لهم:"ان جميع من استشرته، وان كانوا أولى بأس، ومعرفة بالحرب لكنهم لايعرفون من قتال الافرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسهم بهم، وتمرسهم بكم"، فأحالوه في الرأي على القائد **أبي عبد الله بن صناديد**، فعول المنصور في ذلك على رأيه[3].

تخلص رأي "ابن صناديد" بأنه يجب أن تبدأ المعركة باشتباك سائر حشود الأندلس، وقبائل العرب، وسائر قبائل العدوة المغربية من زناتة والمصامدة وغيرهم، وجند المطوعة، وهذا يمثل القسم الأول ،وأن ينتظر القسم الثاني في المؤخرة والمتمثل في الخليفة المنصور، وجيوش الموحدين، والعبيد والحشم في موضع مستور[4]، فأن ظفرنا بعدونا فبفضل الله، وأن كان غير ذلك تكون أنت بمعسكر الموحدين حماية للمنهزمين، فتلقى العدد بهم ،وقد إنكسرت شوكته، وذهبت قوته وحدته وقد أعجب الخليفة بهذا الرأي وقرر اتباعه[5].

قسم الخليفة الجيش إلى مقدمة وقلب، جناحين، جعل في المقدمة الأغزاز والمطوعة من حملة الرماح الطويلية، وجعل القلب القائد العام **أبا يحي بن أبي حفص** مع قبيلة هنتاتة، وجعل في الميمنة جند الأندلس بقيادة **ابن صناديد**، وجعل في الميسرة قبائل زناتة والمصامدة والعرب[6]، وتولى الخليفة المنصور قيادة القوة الاحتياطية مكونة من صفوة الجيش[7].

---

[1]عمر راكة، المرجع السابق، ص 100.
[2]عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 200، أنظر أيضا: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 55.
[3]السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص ص 167-168.
[4]عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 200.
[5]ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 226.
[6]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 262.
[7]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 366.

وقبل المعركة بقليل وجه الخليفة يعقوب المنصور رسالة إلى جيشه، حيث قام القائد العام للجيش **أبو يحيى بن أبي حفص** الهنتاني لينقل هذه الرسالة، وصاح بصوت عال يقول للجند: "يقول لكم أمير المؤمنين، إغفروا له، فإن هذا الموضع موضع غفران وتغافروا فيما بينكم وطيبوا نفوسكم وأخلصوا الله نياتكم"، فبكى الناس ،من أعظم ما سمعوه من سلطانهم، وما جرى إليه من حسن معاملتهم[1].

ثم قام القاضي أبو علي بن حجاج وخطب خطبة بليغة في التحريض على الجهاد، وفضله والتنبيه على مكانته وقدره عند الله تعالى، فتنورت بذلك بصائر الناس، وخلصت لله ضمائرهم وسرائرهم وقويت عزائمهم[2].

ويذكر ابن أبي زرع انه خرج أمير العرب "جرمون بن رياح"، بدوره ليخطب في الناس، فقد كان يمشي بين صفوف المسلمين ويقوي قلوب المجاهدين، ويحرضهم على الثبات في وجه العدو ويتلو الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد [3]، منها قوله تعالى: " يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[4]، وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ "[5].

وبينما كان المسلمون على هذا الوضع هجمت فرقة من جيش النصارى مكونة من سبعة أو ثمانية آلاف فارس مسلحة بالدروع[6] على جيش المسلمين، وكان هذا الهجوم في ضحى يوم الأربعاء التاسع شعبان 591هـ/ 19 جويلية 1195م[7]، فتصدى الموحدون لهذا الهجوم[8]، فعاود النصارى الهجوم مرة ثانية، إلا أنهم تقهقروا مرة أخرى، ثم تهيأت قواتهم للهجوم الفعلي للمرة الثالثة وعززت صفوفها فأصبحت عشرة ألاف فارس[9]، فكان القائد ابن صناديد والزعيم العربي يحث كل منهما الجند على الثبات ،واستطاعت هذه الفرقة إختراق قوات المسلمين، حيث ركزت هجومها على قوات القلب التي يقودها القائد العام "أبو يحي بن أبي حفص الهنتاني"، معتقدين أنه هو الجناح الذي يقوده الخليفة

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 219.
[2]ابن عذارى، المصدر نفسه، ج5، ص 219.
[3]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 226.
[4]سورة آل عمران، الآية 200.
[5]سورة محمد، الآية 7.
[6]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 226.
[7]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 85.
[8]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 226.
[9]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 227، أنظر: المجهول، المصدر السابق، ج2، ص 169.

المنصور، فقاتل أبو يحي قتالاً شديداً وصبر صبراً جميلاً حتى استشهد مع جماعة من المسلمين من قبيلة هنتانة والمتطوعة وغيرهم[1].

وكان القتال شديداً إلى درجة تحول النهار من شدة الغبار إلى ليل[2]، ويذكر ابن عذارى أن الخليفة يعقوب المنصور في تلك الأثناء قال لخاصته ومن طاف به ،جددوا نياتكم واحضروا قلوبكم، ثم تحرك وحده وترك ساقته ومر على الصفوف والقبائل وأمرهم بالهجوم على عدوهم، فحميت بذلك نفوس الجند وتشجعوا أكثر من ذي قبل[3] ،وشرعوا في الهجوم فأقبلت قبائل المتطوعة والعرب والأغزاز والرماة، فأحاطوا بالنصارى الذين هجموا على قلب الجيش الموحدي من كل جانب وشرعوا في قتالهم[4].

في حين هاجمت قوات الأندلس بقيادة ابن صناديد، ومعه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر على قوات ألفونسو الثامن المتواجدة في الربوة العالية[5]، من حصن الأرك والتي تبلغ حسب ابن أبي زرع أزيد من ثلاثمائة ألف مابين فارس وراجل[6]، ولا تتعدى عشرة ألاف فارس منهم **فرسان الداوية**، وفرسان **قلعة رباح** ،حسب أشباخ فإشتد القتال بين الطرفين وعظمت الأهوال[7]، وحمى الوطيس وإلتفت الأقدام والرؤوس[8]، وفي تلك الأثناء حاولت فرقة النصارى المكونة من عشرة ألاف فارس الفرار إلى الربوة العالية التي كان ألفونسو الثامن وقواته ليعتصموا بها، لكن عساكر المسلمين الذين هجموا على الربوة سابقاً تصدو لهم، فأصبحوا محاصرين بين قوات المسلمين، ولحقت بهم قوات العرب والمتطوعة وهنتانة والأغزاز والرماة فأبادوهم عن آخرهم، فاكسرت شوكة ألفونسو الثامن بفنائهم وخرت عزائمه[9].

ورغم ذلك هم وعزم على إعادة تنظيم صفوف قواته والهجوم بجميع جيوشه على المسلمين، فبينما كان هذه الحال إذ سمع الطبول على يمينه قد ملأت الأرض وأرجاء المكان تدوي بوقع حوافر الخيل وأصوات الأبواق، فرفع رأسه لينظر فيها فرأى المكان رايات الموحدين قد أقبلت والعلم الأبيض يخفق أمامه منقوشاً عليه **لا اله الا الله محمد رسول**

[1]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 226-227.
[2]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 227.
[3]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص ص 219-220.
[4]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 227، أنظر أيضا: أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 86.
[5]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 227.
[6]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص ص84-85.
[7]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 227.
[8]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 220.
[9]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 227.

الله، لا غالب إلا الله فقال ما هذا؟ فقيل له أمير المؤمنين يعقوب المنصور قد أقبل على رأس جيشه، وما قاتلك اليوم كله إلا طلائع جيوشه ومقدمات عساكره[1]، فإنتشر في قلبه الرعب والفزع، فالتحم القتال بين الطرفين وسرعان ما ولى النصارى الأدبار منهزمين، فلحق المسلمين فلولهم وأثخنوا فيهم قتلاً وسبياً ،وإقتحموا حصن الأرك بالقوة وأضرموا النيران في أبوابه وإستولوا على جميع ما كان فيه وفي معسكر الجيش القشتالي من أموال وذخائر وأسلحة وأمتعة ودواب وغيرها[2].

أما ألفونسو الثامن فقد فر بدوره من أحد أبواب حصن الأرك، مع شرذمة قليلة من أتباعه[3]، بلغت حوالي عشرين فارساً يجرون أذيال الهزيمة تحت جنح الظلام[4]، ويذكر المقري أن ألفونسو وصل إلى طليطلة في أسوء حال، فحلق رأسه ونكس صليبه ،وأقسم أن لا ينام على فراش ،ولا يقرب النساء ،ولا يركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بالثأر من المسلمين[5].

وهكذا إنتهت المعركة بهزيمة النصارى هزيمة ساحقة[6]، وكتب الخليفة يعقوب المنصور بالفتح إلى جميع بلاد الإسلام التي تحت يده، من الأندلس والعدوة وافريقية[7]، وأمر بإذاعة النبأ من منابر المساجد في جميع أنحاء مملكته الشاسعة[8].

وعقب النصر مباشرة سار الخليفة يعقوب المنصور بجيوشه في بلاد النصارى يخرب المدن والقرى والحصون، ويغنم ويسبي ويقتل ويأسر[9]، ويذكر المراكشي أنه استولى على قلعة رباح بعدما انجلى عنها أهلها، فدخلها وأمر بكنيستها فغيرت مسجداً فصلى فيها المسلمون[10]، واستولى أيضاً على حصون عديدة في أراضي طليطلة دون أن يتصدى له النصارى[11]، ثم رجع إلى اشبيلية محملاً بالغنائم ودخلها يوم السابع والعشرين شعبان 591هـ/ 6 أوت

[1]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 227-228،أنظر أيضا: السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 170.
[2]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 228.
[3]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 87.
[4]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 220،أنظر أيضا: الحميري، المصدر السابق، ص 72.
[5]المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ج1، دار الصادر، بيروت ،1988، ص 44.
[6]ابن الأثير، المصدر السابق، مج 10، ص 237.
[7]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 228-229.
[8]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص87.
[9]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 229.
[10]المراكشي، المصدر السابق، ص 201.
[11]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 229،أنظر أيضا: المراكشي، المصدر نفسه، ص 201.

1195م، فاستقبلته الوفود من سائر البلاد[1]، ومدحه الشعراء، ومدحوا هذا الفتح ومنهم الشاعر أبو العباس الجراوي الذي نظم قصيدة شعرية يمدح فيها الخليفة المنصور ويثني على هذا النصر المبين[2].

ويرجع انتصار الموحدين في موقعة إلى اختيارهم التوقيت المناسب حيث استغلوا الخلافات القائمة بين ألفونسو الثامن ،وبين **ملكي ليون ونافارا**، فلم يكن للقشتاليين نصير في هذه الموقعة[3]، وانضمام **عدوهم الكونت بيدرو فرناندیز کاسترو**، المبعد من قشتالة إلى الموحدين[4].

فضلا عن اعتماد الخليفة يعقوب المنصور على مشورة أشياخ ورؤساء ،وقادة جيشه خاصة قواد الأندلس الذين وكلوا ابن صناديد لقيادتهم، وقد كان له دور فعال في رسم خطة المعركة لدرايته وخبرته الفائقة في محاربة المسحيين، ومعرفتهم لبلادهم[5]، بالإضافة إلى حفاظ الموحدين خلال هذه المعركة على النظام وإطاعة الأوامر وتناسق الصفوف، واعتماد المنصور على عنصر المفاجأة أثناء المعركة، وأدى ذلك إلى الفرار القوات النصرانية بعد أن أصابها الرعب والفزع[6].

التشجيع المستمر للخليفة يعقوب المنصور وكذلك كبار قادته، للجيش الموحدي لكي يثبت ويخلص نيته في الجهاد في سبيل الله، وقد ذكرنا سابقاً نماذج لهذه الخطب والأقوال التي قالها الخليفة وقادته في هذا الشأن[7]، كما اعتنى المنصور بتوفير المؤن، فلم يكن في هذه الغزوة مشكل في تموين الجيش، وقد تدارك بذلك الأخطاء التي وقع فيها والده يوسف في غزوتي وبذة وشنترين[8].

1-3نتائج المعركة وأثارها:

إنتهت معركة الأرك بهزيمة ساحقة للقشتاليين، وإنتصار باهر للمسلمين، وقبل الحديث عن النتائج التي تمخضت عنها وما هي الأهداف التي حققها الموحدون خلال إنتصارهم هذا، نتطرق أولاً للحديث عن عدد القتلى في الجانبين وكذلك أسرى هذه المعركة والغنائم التي إستولى عليها الموحدون بعد نهاية المعركة.

---

[1]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 221.
[2]عن القصيدة الشعرية (أنظر الملحق 11)، ص 113.
[3]معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 203.
[4]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 87.
[5]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 223- 224.
[6]معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 204.
[7]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 219، أنظر أيضا: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 226- 227.
[8]محمد الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 204.

وفيما يخص عدد القتلى من الجانبين فهناك تضارب في الروايات لدى المؤرخون، فيذكر كل من ابن الأثير والذهبي، والمقري، وابن العماد الحنبلي، أن عدد قتلى النصارى بلغ مئة وستة وأربعين ألفاً[1]، بينما يرى ابن عذارى، وابن الخطيب، وابن خلدون، والحميري، وأشباخ أن عدد قتلاهم كان ثلاثون ألف[2]، فيذكر ابن أبي زرع أنه قتل منهم ألوف لاتعد ولا تحصى ولا يعلم لها أحد عدداً الا الله تعالى[3]، أما قتلى المسلمين فيذكر ابن الأثير، أنه استشهد منهم عشرين ألف[4]، بينما يذكر ابن عذارى، أنه استشهد منهم نحو خمسمائة[5]، أما الحميري، فيقول دون الخمسمائة[6]، ومهما تباينت الأرقام فالمؤكد أن عدد الضحايا في صفوف المسلمين كان قليلاً جداً بالمقارنة مع المسحيين الذي كان مرتفعاً جداً، ويرجع ميراندا ذلك إلى الإصرار الذي قاتل به فرسان النصارى بل حتى رهبانهم، إضافة إلى التفوق العددي للجيش الموحدي وكذلك العشوائية التي خرج بها فرسان النصارى لميدان المعركة[7].

ورأى أن حجته الأخيرة صحيحة إلى حد بعيد، أما الحجة الأولى والثانية فمن المؤكد أن فرسان الموحدين قاتلوا بدورهم بإصرار وشجاعة كبيرة، وكان عدد قتلاهم قليل، ومسألة التفوق العددي فقد ذكرنا سابقاً، بالرغم من تضارب الروايات حول عدد الجيوش المتحاربة، فالمؤكد أن عدد الجيوش المسحية أكثر من عدد الجيوش الموحدية بالرغم من كثرت عددها هي الأخرى.

فيما يخص عدد أسرى هذه المعركة ومصيرهم فقد تضاربت الروايات بدورها، فيذكر الذهبي والمقري وابن العماد الحنبلي أن المسلمون أسروا ثلاثين ألفاً دون توضيح لأصنافهم هل من الفرسان أو من العبيد أو من النساء وغيرهم ودون ذكر لمصيرهم[8]، أما ابن الأثير فيذكر أن عددهم كان ثلاثة عشر ألف، ولم يذكر هو الآخر أصنافهم ولا مصيرهم[9]، أما ابن عذارى فيذكر أن المسلمين حاصروا **خمسة آلاف قشتالي** بين صغير وكبير، ذكراً وأنثى في حصن الأرك فحدث إتفاق بين النصارى والخليفة المنصور بوساطة خليفة القشتالي الكونت **بيدرو فوناندیز دي كاسترو**[10]، الموجود بمحلة الموحدين بأن يفرج على خمسة ألاف من أسرى المسلمين مقابل إطلاق القشتاليين المحصورين بالحصن،

[1]المقري ،المصدر السابق، مج1، ص 443،أنظر أيضا : ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج6، دار المسيرة ،بيروت ،ط2 ،1979،ص 500.
[2]ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 269، أنظر أيضا :ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج6، ص 330.
[3]عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق ،ص 201، أنظر أيضا: ابن خلكان ، المصدر السابق ، مج7، ص 8.
[4]ابن الأثير ،المصدر السابق، مج10، ص 237.
[5]ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص 220.
[6]الحميري، المصدر السابق، ص 27.
[7]أمبروسيو هويثي، المرجع السابق، ص ص 357- 358.
[8]محمد عنان، المرجع السابق، ج2، ص 100، أنظر أيضا: المقري، المصدر السابق، مج1، ص 443.
[9]ابن الأثير ،المصدر السابق،مج10، ص 237.
[10]ابن عذارى ،المصدر السابق، مج5، ص 220،أنظر أيضا: يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 87.

فسرح القشتاليون وأخذ المنصور رهائن منهم إلى اشبيلية، ثم إلى رباط الفتح لكي يضمن تحقيق النصارى للإتفاق ويُسلمون أسرى المسلمين، ويختم ابن عذارى كلامه هذا بقوله " وكان هذا الاتفاق من أعظم مكائد الكافرين وخدع المشركين"[1].

أما ابن أبي زرع فيذكر أن الموحدين لما اقتحموا حصن الأرك بالقوة أسروا أربعة وعشرون ألف فارس، فامتن عليهم الخليفة يعقوب المنصور وأطلق سراحهم، فعز فعله هذا على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين وإعتبروه سقطة من سقطات الملوك، وقد ندم فيما بعد على فعله هذا وقيل إنه عندما إشتد مرضه قال:

"ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث وددت أني لم أفعلها، احداهما اطلاقي أسرى الأرك، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم"[2].

وبالنسبة للغنائم فقد حصل المسلمون على العديد منها، فيذكر ابن الأثير لأنهم غنموا شيئاً عظيماً[3]، فمن الخيام مائة وثلاثة وأربعون ألف[4]، ومن الخيل ستة وأربعون ألفاً[5]، ومن البغال مائة ألف ومن الحمير مائة ألف، ويذكر المقري أنهم إستولوا أيضاً على جواهر وأموال لاتحصى[6]، وهو ما ذهب إليه ابن أبي زرع حينما قال أن المسلمين احتووا على جميع ما كان في حصن الأرك وفي محلة النصارى من الأموال والذخائر والأرزاق والأسلحة[7]، والأمتعة والدواب والنساء والذرية[8]، وعن مصير هذه الغنائم فيقول ابن الأثير أن الخليفة يعقوب المنصور ناد في عسكره أنه من غنم شيئاً فهو له سوى السلاح[9]، أما لمقري فيذكر أن الخليفة قسم الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع[10]، وقد بيع الأسير بدرهم والسيف بنصف درهم والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم[11].

[1]ابن عذارى ،المصدر نفسه، ج5، ص 200.
[2]ابن أبي زرع ،المصدر السابق ، ص 228 ،انظر أيضا :أشباخ يوسف ، المرجع السابق، ج2، ص 88.
[3]ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص 237، أنظر أيضا :ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص 500.
[4]ابن الأثير ،المصدر نفسه ، مج10، ص 237، أنظر أيضا: المقري ، المصدر السابق، مج1، ص 443.
[5]المقري المصدر السابق، مج1، ص 443.
[6]المقري ،المصدر نفسه، مج1، ص 443.
[7]ابن الأثير، المصدر السابق ، مج10، ص 237، أنظر أيضا :ابن خلكان ،المصدر السابق ، مج7، ص8.
[8]ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 228.
[9]ابن الأثير ،المصدر السابق، مج10، ص 237.
[10]المقري، المصدر السابق، مج1، ص 443، أنظر أيضا :ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص 229.
[11]الذهبي، المصدر السابق، مج2، ص 100،أنظر أيضا: المقري، المصدر السابق، مج1، ص 443.

وعلى العموم فقد حقق الموحدون في معركة الأرك أعظم نصر خلال حكمهم الطويل للأندلس[1]، وقد شبه المؤرخون كثيراً هذه المعركة بمعركة الزلاقة، فقد قال المراكشي عن هزيمة النصارى في الأرك بأنها أختاً لهزيمة الزلاقة[2]، وقال بعض المؤرخين بأن معركة الأرك أعظم من معركة الزلاقة، منهم ابن عذارى الذي عقد مقارنة بينهما وقال: "بأن غزوة الزلاقة مقسومة الثقل مكدرة الصف"[3]، وجاءت الأرك هنيئة الموقع عامة المسرة كأكلة جائع أو شربة عاطش فأنست كل فتح بالأندلس تقدمها، وبقي بأفواه المسلمين إلى الممات ذكرها[4].

وعقدت بعض المراجع الحديثة أيضاً المقارنة بين المعركتين وذكرت أن المعركة الأرك تميزت عن الزلاقة والتي إقتصرت على تحقيق النصر للمسلمين وقضت بصفة مؤقتة على خطر النصارى الذي كان يهدد دول الطوائف[5]، في أن الخليفة يعقوب المنصور توغل بقواته بعد نهاية المعركة في أراضي النصارى فاستولى على قلعة رباح[6]، وإخترق أراضي طليطلة وإستولى على عدة حصون وقلاع وعاد إلى إشبيلية بغنائم وافرة[7].

وبالعودة إلى الحديث عن النتائج العامة بعيدة المدى التي تمخضت عن نصر الأرك، نذكر مساهمة هذا النصر في رفع سمعة الموحدين الحربية في كل مكان[8]، وإثارة الرعب والذعر في قلوب دول أوروبا الغربية، حتى أن ملكي انجليترا وفرنسا فكرا في إرسال حملة لمواجهة الموحدين ثم تنازلا عن هذه الفكرة[9].

وقد تمكن الموحدون بانتصارهم في الأرك في نشر سلطانهم الكامل على الأندلس وإيقاف حركة الاسترداد المسحي مدى حين، كما تجلت أهمية هذه المعركة في أن النصارى اضطروا إلى دفع الاتاوات الباهضة[10]، وعقد هدنة وصلح مع الخليفة الموحدي في حدود 593هـ/ 1197م، بعد أن قاد الخليفة يعقوب المنصور بعد معركة الأرك الكثير من الغارات على أراضي النصارى تمكن خلالها من تحقيق العديد من الانتصارات والحصول على غنائم كثيرة[11].

[1]محمد عنان، المرجع السابق، ص 210.
[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص 201.
[3]ابن عذارى، المصدر السابق، مج5، ص ص 220- 221.
[4]ابن عذارى، المصدر نفسه، مج5، ص 221.
[5]معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 208.
[6]المراكشي، المصدر السابق، ص 201.
[7]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 229.
[8]أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص87.
[9]معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، ص 207.
[10]عمر راكة، المرجع السابق ، ص 95.
[11]ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص ص 237- 238، أنظر: المقري، المصدر السابق، ص ص 443- 444.

وساهم هذا النصر أيضاً في بعث السكينة في نفوس أهل الأندلس بتخلصهم من تهديد ملك قشتالة الذي كان يعد قبل هذه الموقعة مشروعاً لطرد المسلمين نهائياً من جميع أنحاء الأندلس، فحال هذا النصر بين ملك قشتالة وبين تحقيق أطماعه في الأندلس إلى حين، فلو انهزم المسلمون في الأرك لتمكن النصارى من التوغل في الأراضي الإسلامية والإستيلاء على المدن الكبرى كقرطبة وإشبيلية ومرسية وغيرها، وبالتالي فقط حافظ هذا النصر على إستمرار الوجود الإسلامي بالأندلس، بعد أن كادت أن تسقط في أيدي النصارى عند انهيار دولة المرابطين بالمغرب[1].

[1]معمر الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص ص 207- 208.

المبحث الثاني: حكم محمد الناصر وحروبه مع المماليك النصرانية

1-معركة حصن العقاب* 609هـ – 1212م

1-1وقائع المعركة وسير عملياتها الحربية:

في الوقت الذي اشتغل فيه الخليفة ناصر*، بالقضاء على الثورات التي اندلعت عقب توليه، والتي لم يتغلب عليها الا بعد (604هـ/ 1208م)[1]، حاول المسحيون إعادة ترتيب صفوفهم خاصة بعد الدعوات الملحة من البابوية، فقام ملك قشتالة بعقد معاهدات صلح مع المماليك المسيحية، حيث اتفق مع ملك ليون على أن يعملا على غزو الأندلس والتعاون مع قتال المسلمين، واتفق مع ملك **نافارا** على عدم تعرض أي طرف للقتال من طرف الآخر، كما عقد معاهدة صلح مع ملك البرتغال، وهكذا أصبحت كل مماليك المسيحية يداً واحدة[2].

لم يسع ملك قشتالة لتجديد معاهدة الصلح بين الموحدين، وبعد انتهاء أجلها سنة 606هـ/1209م، والتي كان عقدها مع الموحدين عقب معركة الأرك[3]، بل أخذ يحصن قلاع بلاده المجاورة للدولة الإسلامية، واندفع لغزو المناطق الإسلامية بالأندلس أحواز **جيان** و**أندوجر***، وصل حتى احواز مرسية، وعندما وصلت الأخيار إلى "**الخليفة الناصر**" غضب غضباً شديداً، وبدأ في حشد قواته واستنفار الناس للجهاد، فاجتمعت له قوات كبيرة[4] من سائر الأقطار، وتسارع الناس اليه خفافاً وثقالا من البوادي والامصار[5].

وكتب الخليفة الناصر إلى ولاة اشبيلية وقرطبة بوجوب تجديد حشد الجند واعداد المؤن وتمهيد السبل في جميع المناطق بما يلزم من العتاد والسلاح والكسى والمؤن، وقام الناصر بحشد السفن من سائر أنحاء البلاد لعبور الجيش الموحدية إلى الأندلس، واستمر عبور سفنه بضعة أسابيع، وركب الناصر البحر باتجاه الأندلس يوم الاثنين أول شهر ذي الحجة من سنة 607هـ/ للعاشر من مايو سنة 1211م[6]، ونزل بجزيرة طريف وأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار بجيوشه

*حصن بالأندلس يقع بين جيان وقلعة رباح،(أنظر :الحميري، المصدر السابق، ص 416) .

* محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله، بويع للخلافة في حياة والده يعقوب المنصور ثم جددت له البيعة بعد وفاة والده، وذلك سنة 595هـ، توفي سنة 610هـ، (أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 231، عبد الواحد مراكشي، المصدر السابق، ص،ص 226- 236).

[1]معمر الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص 226.

[2]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 274.

[3]هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 276.

*هو حصن بالأندلس بالقرب من قرطبة،(الحميري، المصدر السابق، ص 264).

[4]معمر الهادي القرقوطي، المرجع السابق، ص 227.

[5]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 277.

[6]ابن عذارى، المصدر السابق، ص ص 235-236، أنظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 249.

الجرارة، تقدره الروايات من خمس مئة ألف مقاتل إلى ست مائة ألف مقاتل إلى اشبيلية فوصلها يوم الاثنين منتصف ذي الحجة من سنة 607هـ/ لأواخر مايو من سنة 1211م وتم استقرار الجيوش الموحدية بالحاصرة الأندلسية[1].

يعلق صاحب الروض القرطاس بعبور الناصر إلى الأندلس في قوله: "واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم وأخذوا بتحصين بلادهم، وإخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم، وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفوه"[2].

لما استكمل الناصر في اشبيلية من حشد الجند واستكمال الامداد من سائر الجهات، فخرج من اشبيلية بجيوش من الموحدين والعرب وأهل الأندلس والأغزاز وغيرهم من طوائف الجند في الأيام الأولى من سنة 608هـ/ أواخر يوليو سنة 1211م، وسار جنوبي الوادي متجهاً نحو قرطبة ثم سار منها إلى جيان وبياسة[3]،ثم سار شمالاً نحو قلعة شلبيطرة*، والذي نصحه فيها وزيره أبو سعيد بن جامع، حاصر الموحدين قلعة شلبيطرة المنيعة طول الصيف حتى دخل عليهم الشتاء، ودام الحصار للقلعة حوالي ثمانية أشهر وانتهى هذا الحصار بفتحها في أواخر ربيع الأول من سنة 608هـ/ أواخر أغسطس من سنة 1211م، وذكر المراكشي وهو مؤرخ معاصر للأحداث (أنه بعد رجوع أمير المؤمنين أبي عبد الله من الفتح المتقدم الذكر إلى اشبيلية استنفر الناس، من أقاصي البلاد فاجتمعت له جموع كثيفة[4]، عاد الخليفة إلى اشبيلية بعد نفاذ المؤن، ورغبة منه في اراحة الجند من الصعاب التي حلت به خلال الحصار[5].

خرج الناصر في جيوشه من اشبيلية في العشرين من محرم سنة 608هـ/ 23 يونيو سنة 1212م، متجهاً نحو جيان قاصدا لقاء النصارى[6]، واستقر الناصر بجيان عدة أيام منتظراً عبور النهر، ووقف على ما وقع من الأحداث على حدود دولته من سقوط قلعة رباح.

أما ملك قشتالة فعمل على تنظيم حملة، فبعث جوهارد أسقف أسقوفية إلى بابا انوسان الثالث، يرجوه أن يرسل الصيحة إلى أمم أوروبا النصرانية، لكي تنظم حملة صلبية ضد المسلمين في الاندلس، وأرسل أيضاً ردريك مطران طليطلة وعدد آخر من الاحبار إلى فرنسا وإلى الأمم الواقعة في شرقها، وفي الوقت الذي كان فيه البابا ومطران طليطلة

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 287، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 108.
[2]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص 155.
[3]ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 156، أنظر أيضا :محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 276.
*شلبيطرة أو سلفيترة بالإسبانية، من حصون بلاد الأندلس، ومن أعمال قلعة رباح، (أنظر : الحميري، المصدر السابق، ص 106).
[4]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 182.
[5]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ،ص 278- 281.
[6]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 292.

يعملان للحصول على معاونة أوروبا النصرانية ضد مسلمي الأندلس، كان ألفونسو الثامن يعمل على جمع كلمة الملوك النصارى في الأندلس ضد الموحدين، ودعا إلى مؤتمر عقد في قونية وقد حضره ملوك ومندوبون من مختلف المماليك النصرانية ووعدوا بتقديم يد العون من مال وجند[1].

ولم يأتي شهر مايو من سنة 1212م، حتى اجتمع في قشتالة من المحاربين الصليبيين الذين هرعوا من مختلف أصقاع أوروبا لمعاونة المماليك النصرانية في الأندلس ضد الموحدين، وجاء هزاء ألفين من البارونات من حاشياتهم، وعشرة ألاف من الفرسان المقاتليين وخمسين ألف من الرجالة، وبلغت هذه الوفود الصليبية المختلفة حوالي سبعين ألف مقاتل لمؤازرة الجيوش النصرانية بالأندلس وتلقى ملك قشتالة فوق ذلك مقادير عظيمة من الأموال والسلاح والمؤن، أرسلت اليه من انحاء فرنسا وإيطاليا وغيرها من بلاد النصارى[2]، كما أنذر البابا ملوك اسبانيا بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسي كل ملك، أو أمير بتأخر عن مساعدة ملك قشتالة[3].

كانت تتألف قوات النصارى في الأندلس من جيوش قشتالة وأراغون ونافارا وليون ومن امدادات من جليقية والبرتغال، وبلغت قوات الصليبية الوافدة إلى الأندلس أكثر من عشرة ألاف فارس ومائة ألف من الرجالة[4].

وأمر البابا انوسان الثالث في روما بالصوم ثلاثة أيام التماساً لانتصار الجيوش النصرانية في الأندلس على المسلمين، وأقيمت الصلوات العامة، وألقى البابا نفسه موعظة صليبية طلب فيها من النصارى أن يتضرعوا إلى الله، التماساً لنصرة جيش النصارى في الأندلس[5].

يصور لنا صاحب البيان المغرب، تلك الاستعدادات الكبيرة من طرف النصارى فيقول (فستعد له وجمع أهل قشتالة أجمعين وغيرهم من سائر جموع ملوك النصارى الذين هموا للجزيرة مكتنفين)[6].

اجتمعت هذه القوات العظيمة في طليطلة عاصمة مملكة قشتالة وفي 20 يونيو سنة 1212م، خرجت الجيوش النصرانية من طليطلة متجهة صوب الجنوب وقسمت الجيوش النصرانية إلى ثلاثة جيوش رئيسية، جيش الطليعة ويتألف من قوات الوافدين، وقد قدرته بعض الروايات بستين ألف مقاتل وقدره البعض بمائة ألف مقاتل، وكان يقوده

[1]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص،ص 109- 116.
[2]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 294.
[3]عمر راكة، المرجع السابق، ص 105.
[4]شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د :ط، 1990م، ص 109.
[5]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 112.
[6]ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 240.

القائد القشتالي ديغو لوبيت دي هارو، والجيش الثاني يتألف من قوات أرابون وقطلونية وفرسان الداوية، ويقوده بيدرو الثاني ملك أراغون، والجيش الثالث يتكون من القوات القشتالية وليون والبرتغال وشنت ياقب والاسبتارية، ويقوده الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة.

وتقدر الروايات أن عدد الفرسان في الجيوش النصارى أكثر من ثلاثين ألف، ناهيك عن الأعداد الهائلة من الرحابة[1].

أما الناصر فقد قسم جيشه الضخم والذي بلغ ستمائة ألف مقاتل حسب بعض المصادر، وكما يذكر صاحب الاستقصا في معرض وصف الجيش الموحدي "**ان الناصر قد أعجبه ما رأى من كثرة جنود وأيقن بالظفر**"[2]، إلى خمس فرق، فجعل العرب فرقة وزناتة وصنهاجة والمصاهدة وغمارة وسائر أصناف قبائل المغرب فرقة، وجعل المتطوعة فرقة، وجعل جند الأندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة أن تنزل ناحية، واهتزلت جميع بلاد الفرنج لجوازه[3].

أما عن عدد جيوش الموحدين التي كان يقودها الناصر، فقد بولغ في الرواية الإسلامية بشكل كبير في أعدادها، حيث يقول صاحب الروض القرطاس: "ان الناصر قد خرج في جيوش لا تحصى وأمم كالجراد المنتشر، قد ملأت السهل والوعر وضاق بهم المتسع والنجد والغور..."[4].

اخترقت الجيوش الموحدية الجرارة نهر الوادي الكبير متجهة صوب بياسة وأبذة*، ثم نزلت الجيوش الموحدية عبر ممر لوسا الوعر بسيط والذي يسمى بالمرشة، واعتزم الخليفة أن يصمد في هذا المكان للقاء النصارى[5].

كان ألفونسو الثامن وقائد جيوش النصارى قد استطاع أن يستولي على قلعة رباح، حيث كانت حامية القلعة تتكون من سبعين فارساً بقيادة **الحجاج يوسف بن قادس** الذي بعث بكتبه إلى الخليفة يستنجده لكن دون جدوى لذلك عرض على النصارى النزول على القلعة مقابل الأمان[6]، فوافق الملك بينما الصلبيون أصروا على أخذ القلعة عنوة وقتل المسلمون، ولكن الملك رفض رأيه وأعطى الأمان لابن قادس وجنوده[7]، غضب أغلب الصليبيون من تصرف

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص ص 226- 227.
[2]الناصري، المصدر السابق، ص 197.
[3]الناصري ،المصدر نفسه، ص 197.
[4]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2،ص ص 155، 160، أنظر أيضا: السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 220.
*أبذة: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة تقع على مقربة من النهر الكبير، (أنظر :الحميري، المصدر السابق، ص 15).
[5]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 301.
[6]السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 198.
[7]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 112.

الملك ولم يستطع ملك قشتالة التفاهم معهم، فتخلى عنه خمسون ألف مقاتل وعادوا إلى بلادهم بينما بقيت معه كل القوات الأخرى، وفي هذه الأثناء وصل ملك نافارا بقواته وانضم إليه[1].

سار بعد ذلك ابن قادس إلى الناصر، ليعلمه بتفاصيل ما وقع فلما وصل إلى الوزير ابن جامع، أمر بحبسه وحبس صهره معه ثم دخل على ناصر، وقام بتحريض الخليفة على ابن قادس، حتى أصدر في حقه حكم القتل، فقتل هو ومساعده[2]، فحقد الأندلسيون على ابن جامع، وفقدوا ثقتهم في الخليفة[3]، وأدى ذلك إلى نتيجة مباشرة سيكون لها بالغ الأثر في ساعة الجسم.

ولقد أخفى ابن جامع أمر الرسائل على الخليفة، كما لم يتمكن ابن قادس من شرح الوضع لئلا ينجلي أمر ابن جامع في سوء التبذير والمشورة.

وكان يعلم نتائج فعلته، ولقد أيقن على الأندلسيين قد فسدت نياتهم اتجاه الخليفة ووزيره، فزاد من تأزيم الوضع بعد أن جمع أهل الأندلس، وقال لهم :"اعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم"[4].

استألف المسيحيون زحفهم بعد الاستيلاء على قلعة رباح وسلموها إلى فرسان قلعة رباح أصحابها السابقين[5]، وبعدها ساروا نحو شلبيطرة ولم يتعرضوا لها حتى وصلت قواها إلى مرتفعات جبال الشارات أو ما يسمى بجبال سيرامورينا، واحتلت البسط العلوي المقفر المسمى ممر مورادال وكان ذلك في العاشر من صفر سنة 609هـ/ 13 يوليو 1212م[6].

كان النصارى يعد احتلالهم بسط مورادال الواقع فوق الجبل أن ينتزعوا قلعة كسترو فيرال الإسلامية والواقعة في قمة الجبل وهي التي تسمى بحصن العقاب وكانت بها حامية موحدية صغيرة فاحتلوا الحصن وقتلوا من كان بالحامية الإسلامية، واستطاعت القوات النصرانية العبور إلى سهل أبدة وبسطوا سيطرتهم على بسطه وحصنوا ما حوله، وحاولت القوات الموحدية أن تنزعه منهم لكنهم فشلوا نظراً لتحصين النصارى، وتمركزهم الجيد في تلك المنطقة[7].

---

[1]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 401، أنظر:السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 222.
[2]الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 198.
[3]الناصري، المصدر نفسه، ج2، ص199.
[4]الناصري، المصدر نفسه، ج2، ص 199.
[5]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 297.
[6]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص ص299- 300.
[7]يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2،ص ص 116- 117.

1-2وقائع المعركة العقاب:

والتقى الجيشان قرب حصن العقاب يوم 15 صفر 609هـ/ 19 جويلية 1212م، فتقدمت جيوش الصلبيين وخرج اليهم المتطوعة[1]، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى فني المتطوعة ثم تقدم الفرسان المسيحيون حتى بلغوا قلب الجيش الموحدي، فردهم الفرسان الموحدون، كما تمكن جناحا الجيش الموحدي من رد جناحي الجيوش المسيحية، وبدأت الغلبة للموحدين حتى لاح النصر لهم، فلما رأى ذلك ملك قشتالة اندفع بقواته وساروا وراءه جناحي الجيش، عندئذ فر الجيش الأندلسي وتركوا ميمنة الجيش مكشوفة[2]، فتركز هجوم المسحيين على القلب حتى انهزم الجند الموحدي النظامي، وبلغوا معسكر الخليفة الذي فر من الموقعة[3].

يذكر ابن أبي زرع الفاسي، لقد أعمل النصارى السيف في المسلمين حتى انتهوا إلى دائرة الناصر، ردوا أكفال الخيل المدرعة إلى رماح العبيد وهي مصوبة إليهم فدخلوا فيها والناصر على درقته أمام خبائه يقول: صدق الرحمان، وكذب الشيطان وهو في مكانه لايتزحزح[4].

بعدها سار ملك قشتالة مباشرة واستولى على كافة الحصون القريبة ووصل إلى مدينتي بياسة وأبدة وقتل أهلها أشد قتل وأسر الباقي.

كما استولى العدو على جميع المحلة وأكثر مضاربها ثم استولى الروم بعد ذلك على مدينة بسطة وباغواو وما جاورها من القرى والحصون، وقتلوا الرجال وسبو الذرية، وكانت هذه الوقيعة أول وهن دخل على الموحدين، فلم يقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة، ولما انتهى الناصر إلى اشبيلية آنس البلاد بخطاب كتبه إليهم زخرفه الكاتب ثم جاز البحر إلى مراكش، فتوفي بها في صفر من سنة **عشر وستمائة** في مؤامرة دبرها لاغتياله كبار رجال دولته[5].

1-3أسباب هزيمة الموحدين في موقعة حصن العقاب:

تكمن أسباب الهزيمة حسب تتبع مسار الجيش الموحدي منذ قدومه إلى العدوة الأندلسية وإلى غاية انهزام الجيوش الموحدية إلى ما يلي:

---

[1]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 239.
[2]معمر الهادي القرقوطي ، المرجع السابق، ص 238.
[3]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 290 ، أنظر أيضا: ابن أبي زرع ،المصدر السابق، ص 239.
[4]ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص239، أنظر أيضا: السلاوي، المصدر السابق، ص 199.
[5]ابن تغري بردي: المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافى ،تح:محمد محمد أمين ، ج6 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د:ط،1990 ، ص 207.

الإستبداد بالرأي، فلم يستمع الخليفة الناصر إلى نصح الشيخ "أبي حفص" لما أشار عليه بعدم التوجه إلى الأندلس للقتال[1] وكان الجدير بالخليفة وهو صغير السن الأخذ بنصح الحكماء من أشياخ الموحدي، وما زاد الطين بلة إحتكامه لنصائح" ابن جامع" الذي عمل على عزل كل مستشارين المخلصين للموحدين، لذا أصبح توجيه الخليفة لا يصدر إلا عن رأي "ابن جامع،" ومن نتائج الإستبداد بالرأي أيضا إستمراره في التوجه نحو شلبيطرة رغم معارضة الأشياخ[2].

كما أن الخليفة لم يتشاور مع الأشياخ، في طريقة القتال المتبعة لذلك أصيب جيش الموحدي بنكسة كبيرة.

وأخطأ عسكرياً عندما أطال حصار شلبيطرة وهذه مجازفة، فقد دام الحصار ثمانية أشهر[3]، وهو ما مكن من حلول الشناء على الجند الموحدي ،ونفاذ الأقوات والأعلاف من المسلمين المحاصرين، مما أضعف من عزائمهم، ووهن قواتهم لمقاتلة العدو.

ومن جهة أخرى طول مدة الحصار إنعكس إيجاباً على النصارى، فقد جعل المسيحيون يحضرون جيداً وفي أريحية لمواجهة المسلمين في العقاب، وتذكر المصادر أن الدعم الصلبي قد وصل إلى ألفونسو حتى من القسطنطينة[4] شرق أوروبا.

يضاف إلى هذا كله أن الحصار العقيم لحصن شلبيطرة، مكن ألفونسو الثامن من السيطرة في سهولة ويسر على قلعة رباح المهمة، والتي تجلت أهميتها من خلال جر النصارى للخليفة الناصر للقتال في أحوازها، فكان من الجدير الحفاظ على قلعة رباح وزيادة تحصينها بدلاً من التفريط فيها، وإتهام ابن قادس بالنزول عنها للنصارى ظلماً وزوراً.

أن قتل قادس الذي إتخذ خطوات لئلا تسقط قلعة رباح وفعل الشر الأهون، حينما إستسلم لألفونسو مقابل الأمان للمسلمين[5]، وبالتالي لم يخطأ بإنسحابه بل أجاد في إضافة قواته إلى قوات الخليفة التي كانت تنتظرها المواجهة الحاسمة في العقاب، فلو بقي لهلك هو ومن معه، كما لم يكن بنية التولي عن الزحف وإلا لما توجه تلقاء الخليفة وعمل

[1]الناصري، المصدر السابق، ص 196.
[2]حسن إبراهيم حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1 ،1980، ص 219.
[3]الناصري، المصدر السابق، ص 198.
[4]المراكشي، المصدر السابق، ص 263.
[5]الناصري، المصدر السابق، ص 198.

بنصيحة صهره[1]، الذي يبدو أنه تفطن إلى مكر بن جامع فنصح ابن قادس بالعدول عن التوجه للخليفة ولكنه أبى ذلك.

يضاف إلى كل هذا أن القتل في ابن قادس سبب هذا الجرم – المفترض من ابن جامع كان تتمة لما تبقى من عناصر الفشل في السير الموحدي للعقاب، وقتل ابن قادس خسارة لقائد فذ، وإهانة لفرقة من أهم مكونات الجيش الموحدي: وهي جيش الأندلسين وطرد من طرف الوزير ابن جامع.

إن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج الذي إستخف بهم الناصر ووزيره، إنشق بعضهم ففسدت النبات، فكان ذلك من حظ الافرنج والله غالب على أمره[2]، إذن فالمقري يجعل قتل سببا من الأهمية بمكان في الهزيمة الموحدية في موقعة العقاب.

إن من أخطاء الخليفة الناصر أيضاً على طول مسيرته في الخلافة، إستوزاره إلى ضعيف العقل " بن جامع" الذي كان سوءة عون لقلة خبرة الخليفة الناصر في قيادة الجيش، وأخذ به إلى الهاوية والهزيمة النكراء في العقاب.

وإن ما يجعلنا في إخلاص ابن جامع للدولة والخلافة الموحدية، هو عمله الشنيع مع ابن قادس الذي يبدو من خلال الوقائع أنه كان سبباً مباشراً في قتله، وحتى في سقوط قلعة رباح في يد ألفونسو قبل ذلك، بل وإن ما يثمن هذه الشكوك إنفراده بالخليفة دون غيره من أشياخ الموحدين[3]، من ذوي الخبرة في أسباب النصر، وما موقعة الأرك منهم ببعيد.

وتذكر بعض المصادر أن الهزيمة ترجع إلى تأخر العطاء الذي كان يأخذه الجند كل أربعة أشهر من عهد المنصور، وأن هذا العطاء تأخر عنهم في عهد الناصر، يعزى ذلك إلى وزرائه فكان من جراء هذا التأخر في العطاء أن الجند خرجوا كارهون ... لم يُسلوا سيفاً ولا شرعوا رمحاً ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال، بل إنهزموا لأول حملة الإفرنجه عليهم قاصدين ذلك[4].

[1]الناصري، المرجع السابق، ص 198.
[2]المقري، المصدر السابق، ج4، ص381.
[3]الناصري، المصدر السابق، ص ص 197- 198
[4]المراكشي، المصدر السابق، ص 65.

وإذا أضفنا كلام المراكشي، وكلام الناصري السابق نستنتج ما قد يضاف إلى مكر ابن جامع في اقصاء لشيوخ الموحدين وأعيانهم من ذوي الحنكة والرأي وانفر دهُو به فقد كان يشير على الناصر في غزواته هذه بآراء كانت سبب الضعف والوهن ولربما يقوي هذا الكلام التقدير بأن ابن جامع لم يكن بعيداً عن السبب في تأخير رواية الجند.

كما يوجد سبب آخر في هزيمة العقاب وهو الإغتراء بالعدد[1]، ونسوا أن من أسباب النصر هو التوكل على الله، وإستمداد العون منه سبحانه، ومشاورة أهل الرأي والحصافة دون بطانة السوء كابن جامع، وأخذ العُدة لذلك من حسن التدبير والتنظيم، فعبد المؤمن بن علي سار على ذلك فدوخ المغرب وجعل تحت راية كيان واحد هو دولة الموحدية، هذا الذي اعتبر إنجازا للموحدين

كما إتبع الخليفة الموحدي المنصور هذا النهج أيضاً والذي اتخذ كل الأسباب المحققة لنصره الكبير في الأرك[2]، على الناصري وجيوش ألفونسو.

أن تعاون المماليك المسيحية الاسبانية معاً وإشتراكها جميعاً في القتال لأول مرة، ثم إستجابة الصليبين الأوروبيين لدعوة البابوية إلى هذه الحرب الصلبية ،كان من أسباب الهزيمة خاصة إشتراكهم مع ملك قشتالة كان عاملاً حاسماً في الإنتصار المسيحيين ،إضافة إلى غدر ملكي ليون ونافارا بالموحدين، حيث أن الخليفة قد أعطاهم صلحاً مادامت دولة الموحدين قائمة، ولكن لما قامت الحرب مع قشتالة تحالفا بجيوشهما ضد الموحدين[3].

إن الخليفة نكب بعض أشياخ الموحدين بتحريض من ابن المثنى، صاحب الأعمال المخزنية الشفاء والعزاء حتى أنهم جعلوا الهزيمة في العقاب بسبب ابن مثنى[4].

ومن أسباب الهزيمة في العقاب هو الخلاف والإنقسام بين صفوف الجيش الموحدي الذي كان يتكون من عناصر غير متجانسة من قبائل البربر والعرب والسودان*، والعبيد، وإن نفس هذه العناصر كانت قد أحرزت النصر في

[1]الناصري، المصدر السابق، ص 199، أنظر أيضا :ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 239.
[2]أبو الخليل، المرجع السابق، ص 65.
[3]أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص ،ص 194- 196.
[4]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 297.
*السودان: ويقصد به جنس السود الذين كانوا يجلبون كعبيد في فترة الدولة المرابطية والموحدية، وحتى فيما بعد، وقد كانت الجيوش المغاربية تعتمد عليهم بكثرة في كل حروبها بسبب شجاعة أفرادها وإخلاصها لأمرائهم، (أنظر: معمر الهادي القرقوطي ، المرجع السابق، ص 240) .

معركة الأرك وبالتالي دور الخليفة هو الذي يساعد على تجانس هذه الزيجات أو إختلافها حتى بلغت وقوف الكثير من تلك العناصر موقفاً سلبياً أثناء المعركة مما جر الهزيمة[1].

1-4نتائج معركة العقاب:

كانت معركة العقاب من أبشع الهزائم التي لحقت المسلمين بالأندلس حيث خسروا فيها الكثير ،وما خسروا بعد المعركة كان أكبر وقتل في هذه المعركة خلق كثير كان منهم عدد وافر من الأعيان وأكابر[2]، ورغم تضارب الروايات فقد إستشهد معظم قواتهم حيث يقدرها ملك قشتالة في خطاب أرسله إلى البابا بمائة ألف وبناءاً على أقوال بعض الأسرى المسلمين.

وقدرها أرنولد أسقف بريجونة بستين ألف، أما رودريغو أسقف طليطلة فيقدرهم بمائتي ألف، وبينما تقدرهم الأميرة برنجيلا إبنة ملك قشتالة في خطاب بعثته إلى أختها ملكة فرنسا بخمسة وثمانين ألف[3].

أما الرواية الإسلامية، فتتفق على أن عدد القتلى من المسلمين كان عظيماً، ذلك أن معظم المؤرخين المسلمين يصورون الهزيمة في العقاب بأعظم مما يقدر النصارى خسائر أعدائهم، حيث يقول ابن أبي زرع: أنه لم ينجو من الجيش الموحدي إلا واحد من الألف، وإذا قدرنا تعداد الجيش الموحدي في العقاب بنصف مليون مقاتل يعني ذلك أنه لم ينجو من المعركة سوى خمسمائة مقاتل فقط، وهذا في منتهى الإغراق، ثم يبرر ابن أبي زرع هذه الكثرة في قتلى الجيش الموحدي أن ملوك النصارى قد أنذروا بالموت كل مقاتل نصراني يأسر مسلماً، فقد هلك من المسلمين أثناء الفرار أكثر مما هلك في الموقعة ذاتها[4].

وتشير الرواية أن النصارى لبثوا مدة أربع ساعات كاملة يطاردون أعدائهم الفارين ويقتلون كل من ظفروا به، ويصف صاحب الحلل الموشية المعركة بالهزيمة العظمى التي فنى فيها أهل الأندلس والمغرب[5].

أما الخسائر النصرانية فمن المؤكد كان كبيراً أيضاً، حيث إلتحم فيها الجيشان معاً وصارت معركة عامة شارك فيها الجميع[1].

---

[1]معمر الهادي، نفس المرجع، ص 239.
[2]علي حجي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ط2، 1998م، ص 494.
[3]عمر راكة، المرجع السابق، ص 108.
[4]عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 314، أنظر أيضا : بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، مؤسسة هينداوي للتعليم والثقافة، القاهرة د:ط، 2012، ص 64.
[5]مجهول، الحلل الموشية، في ذكر الأخبار مراكشية ، ص 122، انظر أيضا : بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 64.

ويذكر لنا الراهب ألبريكوس الذي عاش قريباً من هذا العصر تفسيراً لهذا الرقم الضئيل الذي قدمته الرواية النصرانية عن خسائرهم، فيقول أنه هلك من المسلمين مائة ألف، ولكن هلك في نفس الوقت من النصارى خلال إلتحام المعركة عدد كبير، ويبدو أنه لم يهلك من خلال مطاردتهم للمسلمين سوى نحو ثلاثين[2].

ومن العلماء والأعيان والطلبة المسلمين الذين إستشهدوا في هذه المعركة:

أبو عمر أحمد بن هارون بن عات النفزي 542هـ – 609هـ من أهل شاطبة صاحب التأليف وكان أحد الحفاظ للحديث موصوف بالدراية والرواية[3]، والقاضي الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن يعمر المجابري تولى قضاء فاس، ثم بلنسية[4]، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري من أهل سبتة الذي إستوسع الرواية وكان معروفاً بالزهد،[5] وأبو محمد تاشفين بن محمد المكتب من أهل فاس، كان زاهداً معلماً للقرآن[6]، ومحمد بن الحسن الأنصاري والمعروف بابن صاحب الصلاة، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضري وغيرهم[7].

كما غنم النصارى الكثير، فقد إستولى النصارى في محلة الجيش الموحدي على مقادير وافرة من الغنائم، السلاح، الخيام، الذهب، الفضة، النقود، السبط، الآنية الثمينة، الثياب والأقمشة، فكانت من أعظم الغنائم التي طفر بها النصارى[8]. وكما إستولوا على العلم الموحدي الذي مزال محفوظا في إسبانيا.

---

[1]عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص 315.
[2]عنان عبد الله، المرجع نفسه، ص ص 316- 317.
[3]المقري، المصدر السابق، ج2، ص 602.
[4]ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر للطباعة، د:ط ، 1995 م، ص 194.
[5]ابن الآبار، المصدر نفسه، ص 202.
[6]ابن الآبار، المصدر نفسه، ص 235.
[7]ابن الآبار، المصدر نفسه، ج2، ص ص 285- 286.
[8]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 317.

المبحث الثالث: نظرة عامة للأندلس بعد سقوط حصن العقاب

بعد إنهزام الموحدين وتكبدهم خسائر فادحة أمام القوات النصرانية عاد محمد الناصر إلى مراكش، حيث توفي عام 610هـ/1213م مغموما بنكبة العقاب، أما ألفونسو قائد النصارى إستكمل إنتصاراته، وأستولى على الكثير من الحصون القريبة[1].

خلف محمد الناصر بعد وفاته، إبنه يوسف المستنصر بالله وهو ابن السادسة عشر الذي حكم من 610هـ-620هـ/1213م-1223م[2].

والتي في عهده توالت النكبات على الموحدين، وتخاذل زعماء البلاد وعجزوا عن رد الإعتداءات النصرانية، وتوفي الخليفة المستنصر في عام 620هـ/1224م [3].

فبايع الموحدين محمد بن عبد الواحد[4] ابن الخليفة المنصور، الذي نافسه على الزعامة عبد الله بن يعقوب والي مرسية الذي تلقب بالعادل، والذي حكم من 621هـ-624هـ/ 1225م-1228م، وبايعه ولاة الاندلس الذين كانوا إخوته[5] ، وعين العادل أخاه أبو العلاء إدريس والي على إشبيلية، وسرعان ما نبذ هذا الوالي طاعة أخيه ودعى لنفسه وتلقب بلقب المأمون، الذي حكم من 624 هـ-629م/1227م-1232م ، ثم ثار الموحدون على العادل فقتلوه وعينوا مكانه يحي ابن أخيه الناصر سنة 624 هـ/1227م [6].

فلجأ المأمون إلى فرديناند الثالث ملك قشتالة ملتمسا مساعدته، مقابل دفع قدر كبير من المال ومنح النصارى إمتيازات خاصة، فأمده بقوة عسكرية عبرت معه إلى المغرب، وإصطدم بالخليفة يحي وهزمهم، وتوفي في ذي الحجة 629 هـ/1232م،فخلفه إبنه عبد الواحد وتلقب بالرشيد الذي حكم من 629هـ-640هـ/1232م-1243م [7].

[1]أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص263.
[2]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص250.
[3]ابن خلدون، المصدر نفسه، ص251.
[4]ابن خلدون، المصدر نفسه، ص251
[5]ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص251-252
[6]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص274.
[7]ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص، ص252-254.

نتيجة لهذا الصراع الداخلي بين صفوف الموحدين، إنهار حكمهم في الأندلس، فبمجرد خروج الأندلس عن سيطرة الدولة الموحدية ،ظهرت زعامات محلية منقسمة ومتفرقة ومتحاربة سهلت كثيرا مهمة النصارى الذين كانوا يتوجهون وبسرعة نحو الاتحاد مدفوعين بالشعور القومي والنزعة الصليبية المشتركة ضد المسلمين في الأندلس، وهكذا أصبحت المماليك النصرانية بعد حالة التشتت والفرقة والحروب الأهلية ثلاث ممالك فقط وهي مملكة قشتالة، ومملكة أرغون، ومملكة البرتغال في غرب الأندلس[1].

من أبرز الزعامات المحلية اللذين وإستطاعوا أن يبعثوا إمارات جديدة بالأندلس بعد الهزيمة في معركة حصن العقاب هي:

1-حركة ابن هود: 625هـ/1228م

في ظل سقوط المدن والحصون الموحدية في بلاد الأندلس بيد النصارى، كانت هذه الأخيرة تفقد أملاكها على يد القوى الأندلسية المحلية الطامحة في الاستقلال ، إذ قام **محمد بن يوسف بن هود الجذامي** 625هـ-635هـ/1228م-1237م، الذي أصله من بني هود* و ملوك سرقسطة،* تمرد في مرسية سنة 616هـ-1219م[2]،وإتخذ من حصن الصخيرات*، ملجأ له ومقرا لقيادته وإتخذ شعار" الاستقلال عن الموحدين والنصارى معا، " هذا ما شجع الكثير من أهل الأندلس لدخول في طاعته[3]،بعدما بايعه أتباعه على الطاعة والولاء سنة 625هـ/1228م ، فذاع صيته وإزداد عدد الموالين له ورفع لواء الجهاد ، وأعلن التبعية للدولة العباسية التي أقرته وقلدته حكم البلاد ووصله كتابها سنة 629هـ-1232م أو سنة631 هـ/1234م، وصار الحاكم الفعلي للاندلس معلنا الحرب على الموحدين والنصارى معا[4]، فلقب نفسه بالمتوكل على الله وإتخذ السواد شعارا له[5].

---

[1]صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، قسم تاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014، ص60.

* ينحدرون من قبيلة جذام العربية إستقلوا سرقسطة سنة (405ه/1041م) بقيادة المنذر بن يحي، وأصبحوا من ملوك الطوائف بالأندلس وكان من أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وابنه المستعين. (أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 163-164.)

*سرقسطة: مدينة كبيرة على نهر إبرة وترتفع على البحر نحو 184متر، وتحدق بها البساتين، فتحها العرب سنة 94ه/712م وإتخذوها قاعدة من قواعد الأندلس. (أنظر الحميري، المصدر السابق، ص ص 96-97).

[2]القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج5، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، مصر، د:ط،1963، ص260.

*الصخيرات أو الصخرة، حصن صغير على نهر مرسية جنوب غرب الأندلس. (أنظر الحميري، المصدر السابق، ص ص118-119)

[3]عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا (668ه-869ه/1269م-1465م)، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين ،1424 ه/2003 م ،ص70.

[4]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ،ص 213-216.

[5]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ،ص 335.

أعلن أهل إشبيلية، ومارده، وجيان، وبطليوس، إنضمامهم إليه بعدما تمكن ابن هود من استيلاء على المنطقة الجنوبية للأندلس، والتي كانت تابعة للموحدين. كما اضطر ابن هود لمواجهة الموحدين و النصارى في آن واحد لضمان إستمرار وبقاء إمارته الناشئة[1]، ولكن الأخطر من ذلك هو ظهور أطراف منافسة له في بلاد الأندلس، متمثلة في ثورات ابن مردنيش في بلنسية* ومحمد بن يوسف بن الأحمر،* ،وقتل ابن هود سنة 1238/635م على يد عامله **ابن الرميمي** في مدينة **ألمرية**، ونتج عن مقتله استيلاء بني الأحمر و النصارى على أملاكه[2].

2- **حركة ابن مردنيش: 626هـ/1229م** لقد عاصر بنو هود ثوار آخرون، هم بنو مردنيش بقيادة **أبي جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش**، الذي إلتف أهل بلنسية حوله بعد اضطراب أحوالها وولوه أمر مدينتهم فقبل، ولكن لما عاد الوالي الموحدي التي كانت له علاقة وطيدة مع **ابي جميل** ،خجل هذا الأخير من موقفه وغادر المدينة إلى حصن **أبدة** ،وبقي فيه إلى أن خرج من بلنسية الوالي الموحدي فدعا أهل المدينة **أبا جميل** ثانية وأمروه عليهم وكان ذلك سنة 626هـ/1229م[3].

إلتحق والي بلنسية **أبوزيد عبد الرحمان بن** يعقوب **الموحدي** بملك أرغون يطلب عونه في إسترداد ولايته مقابل ربع ما يستولي عليه ويتنازل له عن حصون **بنشكلة و ميرتلة وكلالة والبونت شيرب**[4]. لما تجهز **أبوزيد** وحلفائه النصارى لقتال **أبا جميل بن مردنيش**، وصلوا **بلنسية** و **مرسية** وجدوا نار الثورة قد عمت بلاد الأندلس فقفل راجعا، وإعتذر من ملك أرغون، وطلب منه أن يكون حاكما على بعض البلاد بإسمه، فقبل ملك أرغون وولاه على **حصن شيرب** .

رأى ملك أرغون **خايمي الأول** أن ينتهز فرصة اللجوء **أبا زيد** اليه وسار بقواته سنة 630 هـ/1233م، واستولى على الحصون القريبة من بلنسية ، فأدرك الأمير **أبو جميل زيان بن مردنيش** خطورة الوضع، فخرج لتصدي الملك المسيحي، ولكن لم يتمكن من ردعه، إستطاع "**خايمي**" إستيلاء على حصن **أنيشة** ،الذي أعاد بنائه ووضع فيه حامية نصرانية[5]

---

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع3، ق2، ص31.

*آل مردنيش :هم حكام بلنسية في أواخر عهد الموحدين بالأندلس وهم من أهل عصابة وأولي بأس وقوة وأول سادتهم عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي (ت 544ه/1149م)، (أنظر ابن خلدون، المصدر السابق ج4، صص168-169).

*أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري من ولد أمير سعد بن عبادة ولد في أرغونة من أعمال ولاية جيان سنة (595ه-1198م) وتربى تربية دينية وقيادية إستقل بغرناطة سنة (635ه-1237م) وتوفي سنة (671-1272م)، (أنظر، ابن الخطيب ،اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،،دار الآفاق الجديد ،بيروت ، ط2 ،1978،ص ص 33-34.

[2]ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والنشر،القاهرة ، د:ط، دت، ص19.

[3]ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 273.

[4]هشام أبو رميلة، المرجع السابق،ص225،أنظر أيضا :محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ع 3، ق2، ص397.

[5]هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص227.

،الذي خرج لها الأمير **ابو جميل بن زيان** بقواته فانهزموا، وقتل منهم جمهور غفير من الفقهاء والعلماء والكتاب ،مما اضطر **ابو جميل** للخروج من مدينة رفقة أهله وولده بصحبة خمسين ألف من أهلها متجهين إلى**جزيرة شقر** الذي ما لبث كذلك ان أخرجه منها أحد قواد مملكة ارغون فتوجه نحو مدينة **دانية** [1].

بعد ذلك فرض **أبو جميل** طاعته على **مرسية** سنة 636هـ/1239م، واستولى عليها بمساعدة أهلها، لكن لم تمضي إلا أيام قلائل حتى خلعه من هذه الولاية **الواثق بالله بن هود** ،والذي كان تابعا لملك **قشتالة ألفونسو التاسع** [2].

3 حركة ابني النصر أو بني الأحمر: 629هـ/1132م هي من الأسر التي ثارت على الموحدين بالأندلس، قاد هذه الثورة **محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي الأنصاري،** الذي في بداية مسيرته استطاع ان يجمع حوله الأتباع ويحصل على طاعة عدة مدن لاسيما وسط الأندلس،أعلن **ابن النصر** ثورته في سنة 629هـ-1132م بحصن **أرجونة** ،حيث موطن أسرته مستعينا بأصهاره **بني أشقيلولة،** كما أعلنت له الطاعة والولاء كل من **وادي آش وبسطة و شريش و جيان قرطبة و قرمونة ،و** لقب بأمير المسلمين،وخطب للعباسيين، وأعتبر الأمير الشرعي للبلاد . أدرك **ابن هود** خطورة ابن النصر بعدما وأوقع به ثلاث هزائم السلطان **أبو عبد الله ابن النصر** ثلاث هزائم أخرهن سنة 633هـ- 634هـ/1237م-1238م[3]، وإنتهت بوفاة **ابن هود** سنة 635هـ/1238م. وإتسعت دولة **ابن** النصر واتخذوا غرناطة عاصمة لهم بعدما ثار أهلها على **الواثق بالله بن هود** [4]. وفي نفس السنة إستولى **ابن النصر** على **ألمرية** سنة 636هـ/1239م، ثم أعلنت **مالقة** الولاء والطاعة لإبن النصر، الذي بدوره قطع الخطبة من العباسيين وخطب للموحدين في مراكش للخليفة الرشيد، ثم تحول ابن النصر عن الموحدين وبايع **بني حفص،** الذي لم يحترم مجددا هذه البيعة. تلقب بأمير المسلمين، وولى إبنه **أبا سعيد** ولما توفي هذا الأخير، تم عقد ولاية العهد لإبنه **محمد** الملقب ب**الفقيه**[5].

وكانت بني نصر أو بني الأحمر، أخر مماليك المسلمين في الأندلس، والتي سقطت سنة 898هـ/1492م[6].

---

[1]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص، ص444-451.
[2]محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص458.
[3]ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص،ص92-101.
[4]ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص ص100-101.
[5]الناصري، المصدر السابق، ج3، ص38.
[6]أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د:ط،1997، ص28.

2-تسارع الاسترداد المسيحي سقوط المدن الكبرى والحواضر الأندلسية:

تتابع سقوط المدن الرئيسية الواحدة تلو الأخرى، بسبب الخلفاء الضعاف الذين تولوا أمور الدولة الموحدية، بعد وفاة الناصر، وكذلك فشل الثورات المحلية التي تزعمها **الزعماء المحليون**، بينما كانت الأمور على درجة كبيرة من الوفاق في معسكر المماليك المسيحية، حيث إتحدت مملكتا قشتالة وليون تحت تاج واحد في ظل الملك فرناندو الثالث الملقب بالقديس[1].

فبعد هذا الإتحاد مباشرة سقطت **بياسة وابذة** سنة 633هـ /1235 م ، في أيدي فرناندو الثالث الذي لم يتوقف عند هذا الحد بل توجه نحو مدينة **قرطبة** قلب العلوم والحضارة الأندلسية، وعاصمة الدولة الأموية، فيما سبق وإحتلها سنة 634 هـ/1236م، كما حول مسجدها الجامع إلى كنيسة سميت باسم **سانتا ماريا العظمى**[2]. وبذلك سقطت حاضرة الإسلام بالأندلس،[3] بعد أن ظلت منارة للخلافة الإسلامية، ومشعلا الحضارة الإنسانية زمنا إمتد خمسمائة وعشرين سنة[4].

سقوط أرجونة وجيان، تعرضت أرجونة وجيان لعدة غارات من الملك القشتالي فرديناند الثالث، فسقطت أرجونة في يده أواسط 642هـ/1244م، بينما سقطت جيان سنة 643 هـ-1246م، وحول مسجدها الجامع إلى كنيسة، ووضع فيها حامية كبيرة ،وغادرها معظم سكانها المسلمين[5].

سقوط إشبيلية، بعد أن إستولى الملك القشتالي **فرديناند الثالث** على قرطبة حاضرة الإسلام، ودخلت غرناطة عاصمة إمارة بني الأحمر في نفوذه، أخذ يتأهب لضم إشبيلية، أعظم قواعد الأندلس ذلك لأهميتها الكبيرة ، بدأ حملته كبيرة على إشبيلية باستيلائه على قواعدها الأمامية [6]، فبدأ بحصن **قرمونة** أهم الحصون الأمامية لإشبيلية، ثم توجه إلى **لورة** و إستولى عليها، ثم زحف على **قنطانة** الواقعة شمال إشبيلية،وقصد بعد ذلك **غليانة**، ثم بلدة **القلعة**، وتمكن من إخضاعها جميعا، وذلك بمساعدة بني الأحمر الذي كان لها دور فعال في سقوط كل هذه الحصون[7].

---

[1]عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي الموصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت،ط1 ،2002، ص272.
[2]عصام محمد شبارو ،المرجع نفسه، ص272.
[3]ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 179.
[4]راغب السرحاني، المرجع السابق، ص629.
[5]محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 572.
[6]يوسف اشباخ، المرجع السابق، ج2، ص،ص192-197.
[7]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ع2، ق2، ص477.

بدأ النصارى في تطويق المدينة بداية من سنة 644هـ /1247م، برا وبحرا واستمر الحصار ثمانية شهرا، ورغم المقاومة الشديدة التي أبداها أهل إشبيلية في الدفاع عن مدينتهم، ولما يإس أهل المدينة من النجدة الخارجية[1]، ومع إشتداد الحصار المطبق عليهم، اضطروا إلى التفاوض مع النصارى، والتي بموجبها تم تسليم مدينة اشبيلية صلحا[2]. وكان ذلك سنة 646هـ /1248م[3]، ودخل النصارى المدينة وحول مسجد إشبيلية إلى كنيسة[4].

إستطاع **فرناندو الثالث** بسط نفوذه على مجمل القواعد بهذه المنطقة بضمه **لشريش** و **تادمس وسلونة وأركس** و**البريجة وروطة** و **لبله**[5]،وطويت بذلك صفحة حكم المسلمين لإشبيلية.

سقوط مرسية، هاجمها الملك ألفونسو العاشر، الذي خلف والده فرناندو الثالث وسار في درب حروب الإسترداد المسيحي، فإستولى عليها بعدما ساعده **جايم الاول** ملك أراغون في 664هـ/1266م وسمح للسكان المسلمين بالبقاء فيها، كما سمح النصارى بهجرة إليها[6].

[1]محمد عنان المرجع نفسه ، ص،ص 484-487.
[2]المقري، المصدر السابق، ج4، ص،ص 472-474.
[3]الحميري، المصدر السابق، ص55.
[4]عبد الله عنان، المرجع السابق، ص486.
[5]يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص ،ص 185-198.
[6]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ،ص ص 463-464.

الخـــــــاتمة

الخاتمة :

من خلال ودراستنا للموضوع ومما تقدم عرضه الصراع الموحدي النصراني في بلاد الأندلس.

إن صراع التموقع والتوسع للدولة على اختلاف موقعها ودياناتها ،واجناسها شكل إحدى سيمات الغالبة للعصور الوسطى،ولعل الصراع الصليبي الموحدي إحدى صور لهذا التموقع والتوسع ،ولما كانت الدولة الموحدة في أوج عطائها استطاعت أن تتوسع في أغلب مناطق بلاد المغرب، وخولت لها رايتها الإسلامية الدفع بقوتها لدخول الأندلس ،وكان لها ما أردت غير أن تغير توازنات القوى بين النصاري والمسلمين، شجع القوى الصليبية على مجابهة الموحدين بالأندلس ومن هنا خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات :

1- تميز الدولة الموحدة عن غيرها من الدول التى حكمت الاندلس ،كوانها إستطاعات فرض وجودها ،وهذا مانلاحظه في علاقتها مع مختلف المماليك الأوروبية فقد فرضت نفسها في مختلف الإتفاقيات سواء السياسية أو التجارية أو العسكرية ،برز ذلك في عهد عبد المؤمن بن علي الذي تَعَد حكمه أغلب مدن الاندلس ومركزها.

2- ركزت الدولة الموحدية على تثبيت قوتها ورفع رايتها الإسلامية ،ذلك من خلال التحرشات النصرانية في محاولتهم لجس نبض الموحدين من خلال الرغبة في إسترداد بعض المدن الأندلسية ،ولعل القضاء على ابن مردنيش وانتصارهم في غزوة وبذة ،وشنترين ،ومعركة شِلب شاهد على ذلك، و تدعيم وتثبيت سلطان الموحدين على الاندلس رغم صراعها الطويل مع ابن مردنيش وبنو غانية.

3- .أضاف الموحدين بالانتصار في معركة الارك سنة 591هـ مجدا جديدا إلى سلسلة انتصاراتهم.أسهم هذا النصر في رفع معنويات المسلمين ببلاد الاندلس وفي إعلاء سمعتهم العسكرية والدفاعية ،نتج عنه بث الرعب في صفوف الجيوش النصرانية .

4- لم تكن دولة الموحدين لتَدخر جهدا في مناورة النصارى،فقد بذل أمراء الموحدين كثيرا من جهود في إذكاء جذوة الجهاد، وحاولوا فرملة الزحف النصراني على الحواضر الأندلسية .

5- النصر الموحدي بالاندلس جعل مختلف القوى الصليبية تراجع حساباتها وذلك بالتخطيط للقضاء على هذه القوى ،ومنها فعلت مختلف الحركات الدينية على اختلافها وتفرعها ذات الصبغة المسيحية مما حل التعبئة لمناصرة حركة الاسترداد الوسطية ،تجسد في إصدار النصارى الفرمان المقدس يدعو إلى الاتحاد الشامل بينهم من أجل الإنتقام لموقعة الارك.

6- أدت سياسية النصارى الى توحيد صفوفهم ولَمِ شملهم وقوتهم ضد الموحدين بالاندلس .

7- تَعاضُم الفتن والحروب الداخلية في المغرب من جهة، وتكالب قوى النصارى من جهة أخرى ،وبمساعدة بعض الزعامات المسلمة جعل المهمة الملقاة على من جاء بعد محمد الناصر شبه مستحيلة لدفاع عن الاندلس.

8- توالت النكبات على الموحدين في عهد المستنصر بالله فعجزوا على رد الإعتداءات النصرانية.

9- إن سياسة التفرد بالحكم بالاندلس جعل من ذهنية فكر السكان مكرهون على الجهاد مما ساهم بشكل أو بآخر في تماسك الجيش الموحدي.

10- رغم الانتصارات التى حققها الموحدين إلا أن معركة حصن العقاب سنة609هـ /1212م كانت بداية هزيمتهم وانحطاطهم،في مختلف المناطق .

11- إضمحلال الدولة الموحدية أفرز تهاوي المدن أمام المدّ النصراني وسقوط زعمائها في أيديهم فتح الباب على مصراعيه لحركة الاسترداد المسيحي ،فاستطاع النصارى عقب معركة العقاب فتح العديد من الحصون ،أهمها : فرال و وبلج وبانيوس وتولوسا.

12- كان انهزام الموحدون في الأندلس الأثر البالغ في تشتت المسلمين ،وظهور العديد من الزعمات المحلية المتناحرة في ما بينها مماسهل على النصارى حَملاتهم وزادتهم قوة ووحدة.

13- أدى الصراع الصليبي الموحدي في الأندلس إلى نهاية الدولة الموحدية ،كان له الأثر حتى على بلاد المغرب الإسلامية أفضى الوضع إلى انفصال الحفصيين بالمغرب الأدنى ،والزيانين بالمغرب الأوسط، المرينيون بالمغرب قضوا على حكم الموحدين سنة 1269/668.

14- خلاصة القول جهاد المسلمين في بلاد الأندلس صفحة مشرقة في تاريخ المسلمين ضاربين بذلك مقولة "إن جند الاسلام اقوى واقدر على ردع قوى الكفر متى صح منهم العزم ".كما لم تأتي قوة إسلامية في العصر الوسيط بعد نهاية الدولة الموحدية ولم تتوحد الأمة الإسلامية بعدها ، ولم تستطيع أن تقف ضد الحملات الصليبية التى ازدادت شراستها كثيرا ،كونها لم تكن مجرد حملات حربية ارتجالية، فقد عد الغرب الأوروبي استرادا الأراضي الأندلسية هدفا مقدسا يضاهي قداسية إسترداد القدس من المسلمين .

الملاحـــــق

الملحق 01 : مخطط لأهم أمراء الموحدين[1]

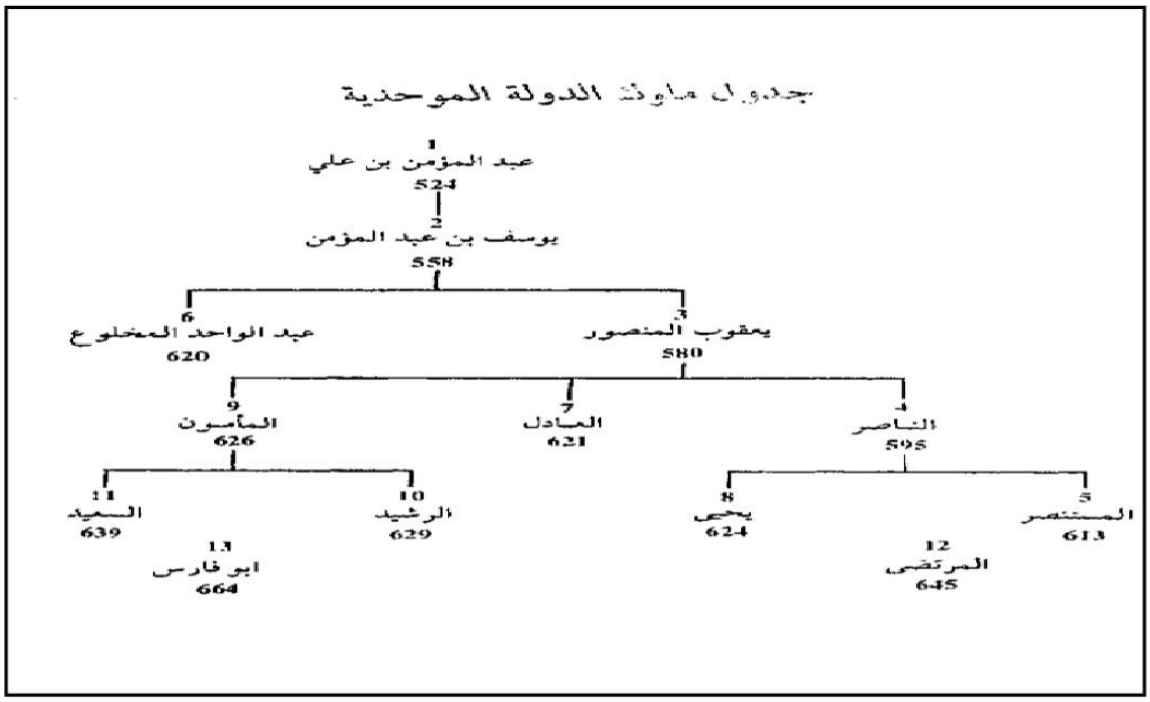

[1] المقري ، نفح الطيب من الغصن الرطيب، ج 10 ، ص 21 .

الملحق 02 : توسعات الموحدين في المغرب والأندلس [1]

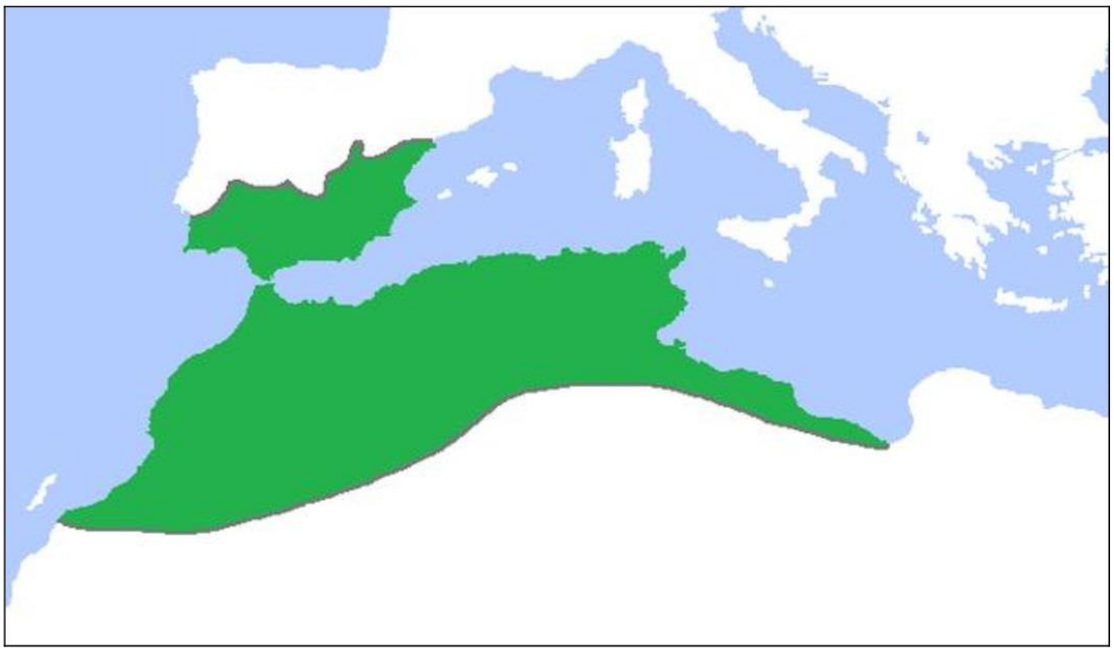

[1] محمد عنان ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، ص 17.

الملحق 03 : معركة الأرك [1]

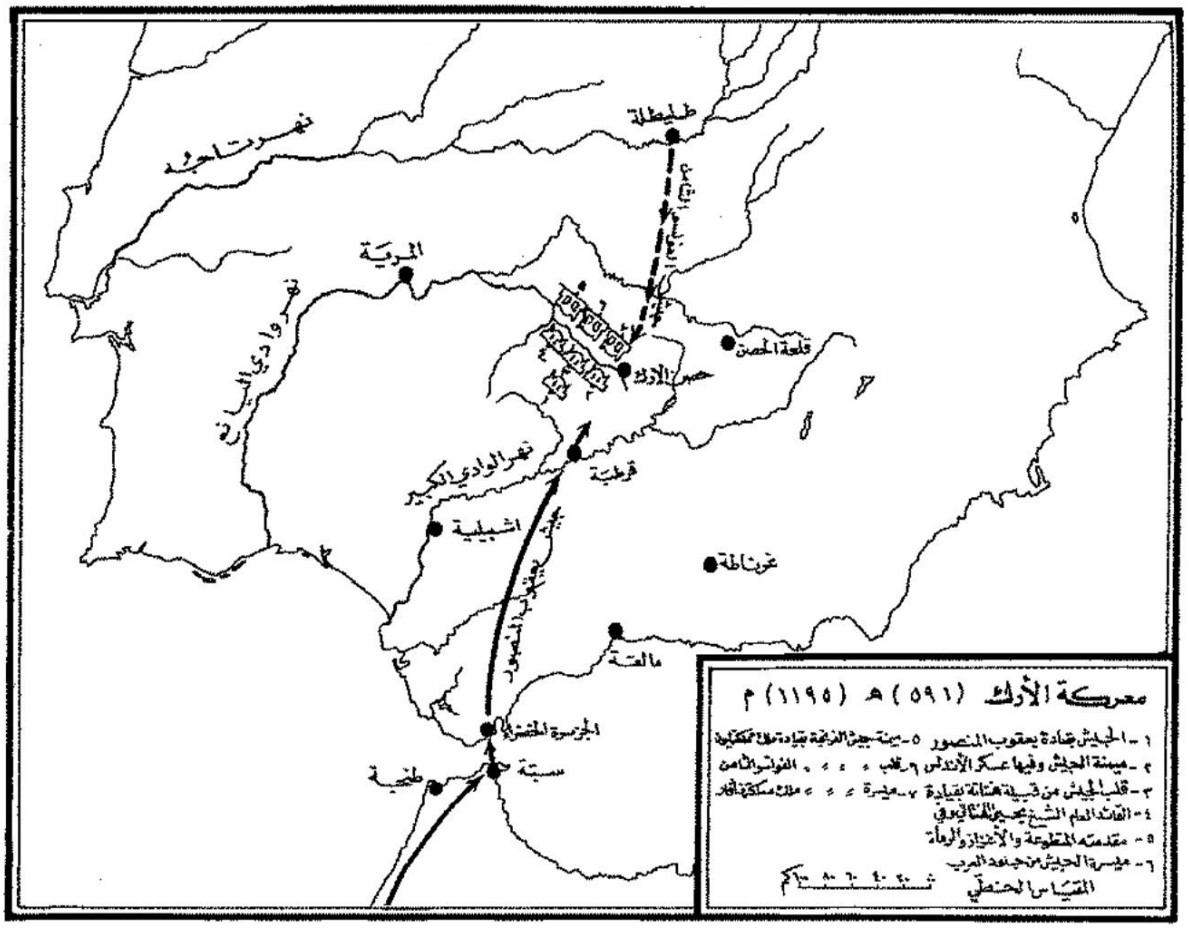

[1] محمد عنان ، المرجع السابق ، (العصر الثالث ، القسم الثاني) ، ص 201.

الملحق 04 : خريطة موقعة العقاب ومعركة الارك[1]

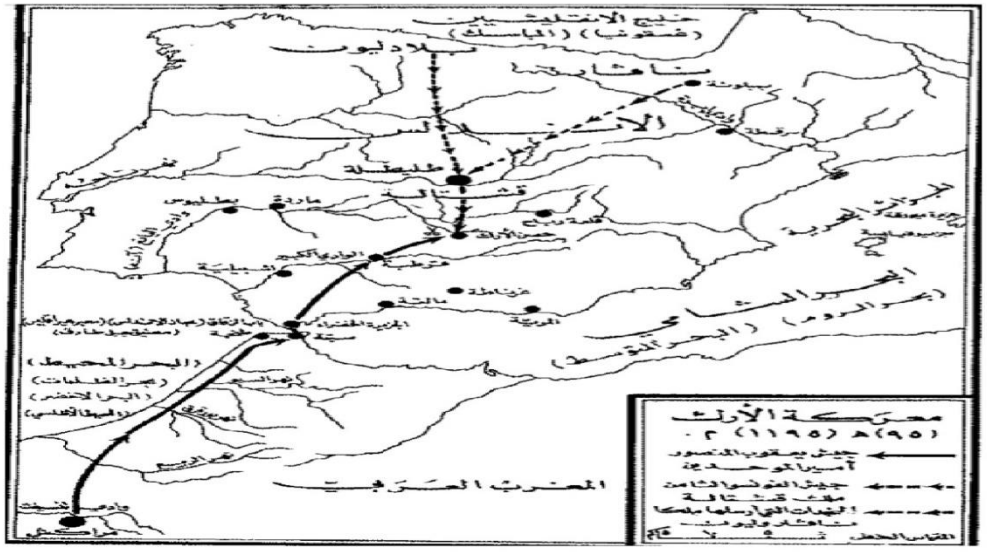

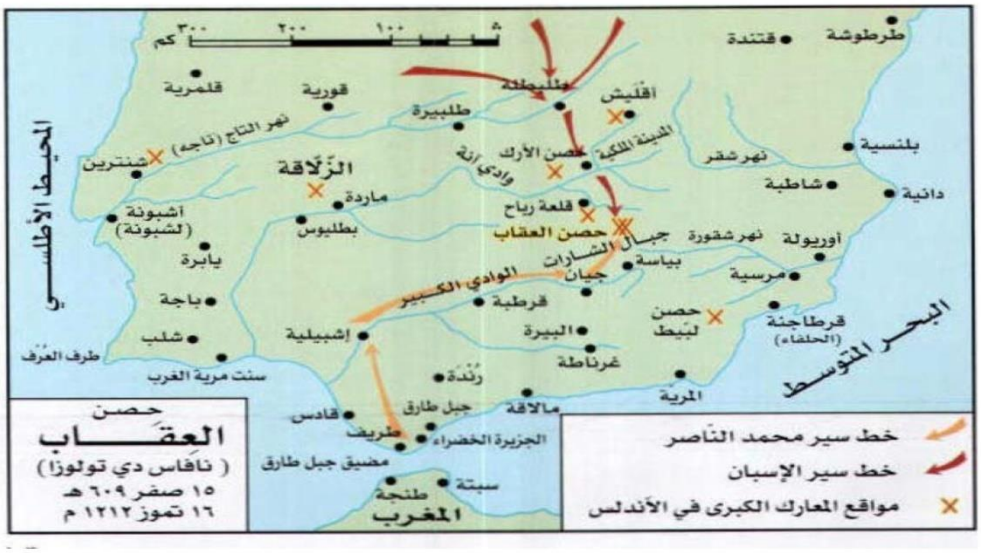

[1] محمد عنان ، المرجع السابق ، ص 49 .

الملحق 05 : أرجوزة شعرية تمدح الخليفة يعقوب المنصور وانتصار الموحدين في معركة الأرك[1]

هو الفَتْحُ أَعْيَا وَصْفُهُ النُّظُمَ والنَثْرَا ... وعَمَّتْ جَمِيعَ المسلمينَ به البُشرى

وأنجدَ في الدُّنْيَا وَغَارَ حَدِيثُهُ ... فَرَاقَتْ بِهِ حُسنًا وطَابَتْ بِهِ نَشرَا

تميَّزَ بالأحجالِ والغُرِرِ الَّتِي ... أقل سناهَا يُبهرُ الشَّمسَ والبدرَا

لقد أورد الأذفونش شِيعتَهُ الرَدَى ... وسَاقَهُمْ جَهْلًا إلى البَطْشَةِ الكُبْرَى

حَكَى فِعْلَ إبليسٍ بأَصْحَابِهِ الأُلَى ... تَبرَّأَ مِنْهُمْ حِينَ أَوْرَدَهُمْ بَدرَا

أَطَارَتْهُ شَدَاتٌ تَولَّى أَمَامَهَا ... شَرِيدًا وأَنْسَتْهُ التَّعَاظُمَ والكُفْرَا

رأى الموتَ للأَبْطَالِ حَوْلَيْهِ يَنْتَقِي ... فَطَارَ إِلَى أقصَى مَصَارِعِهِ ذُعْرَا

وقَدْ أوردتَهُ الموتُ طَعْنَةَ ثَائِرٍ ... وإِنْ لم يفارق من شَقَاوَتِهِ العُمْرَا

ولم يَبْقَى من أَفْنَى الزَّمَانُ حُمَاتَهُ ... وجرَعَهُ مَنْ فَقَدَ أَنْصَارَهُ صَبْرَا

أُلُوفٌ غَدَتْ مَأْهُولَةً بهم الفَلَا ... وَأَمْسَتْ خَلَاءً منهم دُوُرُهُمْ قَفْرَا

ودَارَتْ رُحَى الهَيجَا عَلَيْهِمْ فَأَصْبَحُوا ... هَشِيمًا طحينًا في مهبِ الصَبَا يَذْرَا

يطيرُ بأشلاءِ لهم كُلُ قَشْعَمٍ ... فمَا شِئْتَ من نِسْرٍ غَدَا بَطْنُهُ قَبْرَا

فَكَيْفَ رَأَى المُغْتَرُّ عُقْبَى اِغْتِرَارِهِ ... وكيفَ رَأَى الغَدَّارُ فِي غَيِّهِ الغَدْرَا

وكيفَ يَرَى أَقْطَارُ أَنْدَلَسَ لَهُ ... مَتَى يَرَمُ لم يُخْطِئ بِأَسْهُمِهِ قَطْرَا

فَسَلَاهُ يَوْمُ الأَرْبِعَاءِ عَنْ المُنَى ... فَمَا يَرْتَجِي مِمَّا تَمَلَّكُهُ شِبْرَا

إِذَا عَزَلَتْهُ الرُّومُ كَانَتْ نَجَاتُهُ ... وقد أَحْرَقَتْ جَمْرَ المَنَايَا بِهِ غَدْرَا

فَتْعْسًا لَهُ مَا دَامَ حَيًا وَلَا مُنَى ... وَكَسْرًا لَهُ مَا دَامَ حَيًا وَلا جَبْرَا

بِيُمْنِ الإِمَامِ الصَالِحِ المُصْلِحِ الرِضَى ... نَضَى سَيْفُهُ الإِسْلَامَ فَاسْتَأْصَلَ الكُفْرَا

فَلَا زَالَ بالنَّصْرِ الإِلهِي يَقْتَضِي ... بَشَائِرَ تُحْصَى قَبْلَ إِحْصَائِهَا القُطْرَا

[1] ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 121 -122 .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع :

1. أرسلان شكيب ، خلاصة تاريخ الاندلس ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،د:ط ،1983.
2. الأشتر صالح ، معركة الأرك 591هـ/1195م، دار الشروق العربي ،بيروت ، ط1، 1998.
1. البستاني بطرس ،معارك العرب في الأندلس،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،د:ط، 2012.
2. بورويبة رشيد ، ابن تومرت ، تح : عبد الحميد حاجيات ،كنوز النشر والتوزيع ، الجزائر ،ط1، 2004.
3. بوقربة صالح، عبد المؤمن ابن علي مؤسس دولة الموحدين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د:ط ، 1991.
4. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ،ج 2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،د:ط، 2010.
5. حجي علي عبد الرحمان ، التاريخ الأندلسي من الفتح الي سقوط غرناطة ،دار القلم ،بيروت ،ط2، 1998.
6. حسن إبراهيم حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي ،مصر ، ط1، 1980.
7. دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ،عصر الطوائف الثانية (510هـ546هـ/1116م- 1151م)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1988.
8. دنون طه عبد الواحد، دراسة في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، المدار الاسلامي ، بيروت ، ط1، 2004.
9. أبو رميلة هشام ، العلاقات علاقة الموحدين المماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ،دار الفرقان ، عمان ، الأردن،ط1، 1984.
10. سالم السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعة ، الإسكندرية ،د:ط، 2010 .
11. سرحان راغب ،قصة الأندلس من الفتح الي السقوط ،ج2، إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة ، ط1، 2011.
12. سعدون نصر الله ،تاريخ العرب السياسي في الأندلس،دار النهضة العربية ،بيروت ،ط1، 1998.
13. شاكر مصطفى ، الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،د:ط،1990.

14. شبارو عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود ،دار النهضة العربية ،بيروت ،ط1، 2002.

15. شوقي أبو خليل ، الأرك بقيادة المنصور الموحدي ،دار الفكر للطباعة والتوزيع و النشر ، دمشق ، ط1، 1979.

16. الصلابي علي محمد،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ،دار المعرفة ،بيروت ،ط 3، 2009.

17. الطوخي أحمد محمد ، مظاهر الحضارة في الاندلس في عصر بني الاحمر ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،د:ط، 1997.

18. عاشور سعيد ، أوروبا العصور الوسطى ، ج1، مكتبة أنجلو، القاهرة ، ط2 ، 1981.

19. العبادي أحمد مختار ، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف الإسكندرية، الإسكندرية ، ط1، 1984.

20. العبادي أحمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،مؤسسة الشباب الجامعية ،الإسكندرية، د:ط ، 2008.

21. عمران سعيد، حضارة أوروبا في العصور الوسطى ؛ دار المعرفة الجامعية، د:م ، د:ط ، 1998.

22. عنان عبد الله، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن علي وزارة الثقافة ، الجزائر ، د:ط ، 2007.

23. عنان عبد الله ،دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ،مكتبة الجانجي، القاهرة ، ط1،.1990

24. الغناي عقيلة مراجع ، قيام دولة الموحدين ،منشورات الجامعية ، قاريونس بنغازي ،ليبيا ، ط2، 2008.

25. عبد الفتاح سعيد ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ، بيروت ،د:ط، 1976.

26. القرقوطي الهادي معمر، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس(541هـ-626هـ /1146م-1233م) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،د:ط ،2005.

27. مزاري توفيق عبد الصمد ، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين ، منشورات دار الثقافة حسن الحسين الجزائر، ،د:ط ، 2010.

28. مكي محمد، وثائق تاريخية جديدة عن الدولة المرابطية وأيامهم في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد السابع والثامن ، مدريد ،د:ط ، 1959،1960.

29. الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ،ج2، ومحمد الميلي ؛المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،د:ط ، د:ت .

30. النجار عبد المجيد ،المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي حياته وآثاره وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب ،دار الغرب الإسلامي ،مصر،ط1، 1983.

كتب مترجمة :

1. أمبروسيو هوليثي ميرندا ،التاريخ السياسي الإمبراطورية الموحدية ، تر : عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن النجاح الجديدة ؛ دار البيضاء ،المغرب ، ط1، 2004.

2. روجي أبي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12م-13م ،تح : أمين الطيبي، دار العربية للكتاب ،تونس ،د:ط ، 1982.

3. يوسف أشباخ ،تاريخ الأندلس في العهد المرابطين و الموحدين ،تر: محمد عبد الله عنان، ج 1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، د:ط، 2007 .

رسائل جامعية :

1. حسن أحمد عبد الله عامر، دولة بني مرين، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668هـ-869هـ/1269م-1465م)،مذكرة ماجستير في التاريخ ،جامعة النجاح الوطنية ،كلية الدراسات العليا ،نابلس ،فلسطين ، 2003.

2. راكة عمر ، العلاقات السياسية للدولة الموحدية بالامارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، 540هـ/1145م-668هـ/1269م،رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ،جامعة أبي بكر قايد ،تلمسان ، الجزائر، قسم التاريخ ،2011م.

3. صديقي عبد الجبار ،سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الاسباب والتداعيات،رسالة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،قسم تاريخ ، جامعة تلمسان ،2013-2014.

المصادر :

القران لكريم (رواية حفص عن عاصم)

1. ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت : 658 هـ / 1260م)، التكملة لكتاب الصلة ، تح : ألفرد بلا وابن ابي شنب ،ج2، الجزائر ط2، 1919.

- التكملة لكتاب الصلة ، تح : عبد السلام الهراس، ج1دار الفكر للطباعة ،د:ط، 1995.

- الحلة السيراء ،ج2، تح: حسين مؤنس ،دار المعارف ،القاهرة ،ط2، 1985.

2. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (630هـ1232م)، الكامل في التاريخ من سنة 489وحتى 521هـ،تح:محمد الدقاق،مج9 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط 4، 1979.

-الكامل في التاريخ ، مج9،مج10، دار الصادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1966.

-عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي كرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت : 630هـ/ 1232 م) --الكامل في التاريخ ، مج9، دار الصادر للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ، د:ط ،1966.

3. الإدريسي الشريف ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني، (ت 560 هـ/ 1164 م)، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ،مج 1، مكتبة الثقافة الدينية ،بورسعيد ،مصر ،د:ط ،د:ت .

4. البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي ، (ت أواخر القرن 6 هـ) ، أخبار المهدي بن تومرت ،تح : عبد الحميد حاجيات ،المؤسسة الوطنية ،الجزائر ،ط 1، 1986.

5. ابن تغرى بردي ، يوسف بن تغري البردي الأنابكي (ت 874 هـ/1470 م)، المنهل الصافي والمستوردة بعد الوافي ،تح :محمد محمد الأمين ، ج6، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د:ط ، 1990.

6. التنسي عبد الله ،أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني ،(ت 899 هـ)، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تح : محمود آغا بوعياد ، موفم للنشر ، الجزائر ،د:ط ، 1975.

7. ابن حرداذبة أبو قاسم ابن عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والمماليك ،مطبعة بريل ، ليدن ،د:ط، 1889.

8. الحموي الياقوت ، شهاب الدين أبي عبد الله الياقةت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت 626 هـ / 1828م): معجم البلدان ،مج 3، دار الصادر ، بيروت ،لبنان ، د:ط، 1977.

: معجم البلدان ، تح: محمد أمين الجانجي ،ج6، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1، 1906.

9. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ،(ت في منتصف القرن 8 هـ) : الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ،ط1، ط2، 1984، 1975.

10. ابن الخطيب السلماني لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 776هـ/1374م): تاريخ إسبانية الإسلامية ،أعمال الأعلام من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،تم:ليفي بروفنسال ،مكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة ،ط1 2004.

: الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية ، تص: البشير الفورتي ، مطبعة التقدم الإسلامية ،ط1، 1911.

: كناية الدكان بعد انتقال السكان ، تح : محمد كمال شبانة ،مؤسسة المصرية العامة بتأليف ونشر ،القاهرة ، د:ط، د،ت .

: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديد ، بيروت ، ،ط2، 1978.

: الإحاطة بأخبار غرناطة ، ج2، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ط1 ، 1901.

11. ابن خلدون عبد الرحمان ،(ت : 808 هـ / 1406 م) ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ضبط المتن ووضع الحواشي :خليل شحاتة، مراجعة سهيل زكار،ج6،ج2 ، دار الفكر ،لبنان ،ط4، 2000.

12. ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر (ت 681 هـ / 1282 م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان ، د:ط ، 1994.

13. الخنيزري أبو الحسن ، علي أبو الحسن بن حسن بن مهدي بن كاظم بن علي بن عبد الله، (ت 1363 هـ) الدعوة الإسلامية وحدة أهل السنة والإمامة ،تح : محمد جواد مغنية ،ج2، مطبعة الإقبال، بيروت ،لبنان ،ط 1، 1956.

14. أبن أبي الدينار القيرواني ،محمد ابن ابي القاسم الرعيني الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، ط1، 1986.

15. الذهبي ،شمس الدين الذهبي ،(ت 748 هـ/ 1348 م) ، سير أعلام النبلاء ، ج1، تح : حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية، بيروت ، د:ط ، 2004.

16. ابن أبي زرع ، أبي الحسن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325) :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس ،دار المنصورة للطباعة والوراقة ،الرباط ،المغرب ،د:ط ،1972.

: الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصورة للطباعة والوراقة ،الرباط ،د:ط ، 1972.

17. الزركشي ،أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ناضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

18. ابن السماك العاملي ، أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي (من أهل القرن الثامن الهجري) :الحلل الموشية في ذكر أخبار مراكشية ،تح :عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1 ، 2010.

19. ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك (ت 594 هـ / 1198 م) : المن بالإمامة على المستضعفين وبمن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين – تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ،تح: عبد الهادي التازي ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، ط1، 1985.

20. ابن عذارى المراكشي، (كان حيا سنة 712 هـ/ 1312 م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)،تح :محمد الكتاني ومحمد تاويت وأخرون ،ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ، د:ط ،1985.

: البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تح : بشار عواد معروف ،محمد بشار العواد ،ج3، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،ط1، 2013.

21. ابن العماد الحنبلي ،شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي (ت 1089هـ/1678م) ،:شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج6، دار المسيرة ،بيروت ،لبنان ،ط 2، 1979 .

22. القاضي عياض ،أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي ، (ت 1149 هـ)، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح : ماهر وزهير جرار ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط1 ، 1982.

23. ابن القطان ، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، (كان حيا منتصف القرن السابع الهجري) ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،تح :محمود علي مكي ،ج9،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان،ط1، 1990.

24. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مج 6، المطبعة الأميرية، القاهرة ،د:ط ، 1915.

: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصرية ،مصر ط3، 1991.

: الجمان في التعريف لقبائل عرب زمان ، تح: إبراهيم الأبياري،ج1، دار الكتب اللبناني، بيروت ، ط1، 1982.

25. ابن كردبوس ،أبو مروان عبد الملك (كان حيا أواخر القرن السادس الهجري): تاريخ الأندلس، هو قطعة من الاكتفاء في أخبار الخلفاء ،تح: أحمد مختار العبادي ،مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ،د:ط،1971.

26. مجهول ،(لمؤلف مراكشي من أهل القرن 6 هـ) : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح:سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،المغرب ، ط1، 1979.

27. مجهول ،الإستبصار في عجائب الأمصار ،تح : سعد زغلول ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د:ط، د:ت.

28. مجهول ، رسائل موحدة من إنشاء كتاب الدولة المومنية ، ج10، اعتنى وأصدرها :ليفي بروفنسال ، المطبعة الإقتصادية ، الرباط، المغرب ،1941.

29. المراكشي عبد الواحد بن علي المراكشي (ت 647هـ/1250م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: خليل عمران المنصور ، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،ط1 ،1419هـ-1998.

: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، مكتبة الإستقامة، القاهرة ،ط 1 ، 1949.

30. المقري أحمد بن محمد التلمساني ، احمد بن محمد المقري التلمساني، (ت 1041هـ/ 1631م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح : إحسان عباس ،دار الصادر ، بيروت ،د:ط،1988.

31. الناصري ،أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصا، لأخبار المغرب الأقصى ،تح: جعفر الناصر و محمد الناصر ،ج2، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،المغرب ، د:ط ، 1954.

32. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تح : عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،د:ط، د:ت.

فهرس المحتويات

مقدمة .....(10-01)

مدخل عام: الأندلس في ظل حكم الموحدين .....(26-11)

المبحث الأول: أوضاع بلاد الأندلس في نهاية الحكم المرابطي 12

المبحث الثاني: قيام الدولة الموحدية (524هـ-558هـ) 18

الفصل الأول: دوافع عبور الموحدين لبلاد الأندلس وتوسعاتهم وصراعهم مع الزعامات المحلية .....(37-27)

المبحث الاول :دوافع عبور الموحدين لبلاد الاندلس..... 28

المبحث الثاني: القوى الصليبية الفاعلة في العهد الحكم الموحدي 33

الفصل الثاني: الصراع الموحدي النصراني :التجليات والاطوار.....(67-38)

المبحث الأول: الحركات الدينية ودورها في تأجيج الصراع الموحدي.....39

المبحث الثاني :حكم أبي يعقوب يوسف وحروبه مع ابن مردنيش والمماليك النصرانية 42

الفصل الثالث: المواجهة الموحدية مع القوى الصليبية بالأندلس.....(104-68)

المبحث الاول: حكم يعقوب المنصور وحروبه مع المماليك النصرانية.....69

المبحث الثاني :حكم محمد الناصر وحروبه مع القوى الصليبية 88

المبحث الثالث: نظرة عامة للأندلس بعد معركة حصن العقاب.....99

الخاتمة.....106

الملاحق.....109

البيبليوغرافيا.....115

فهرس المحتوى.....123

ملخص:

تعد الدولة الموحدية من أكبر الدول الإسلامية التي عرفها تاريخ الغرب الإسلامي،حيث كانت نشأتها في بلاد المغرب الإسلامي،ثم إمتد توسعها إلى الأندلس، التي كان لها دور كبيرفي مواجهة الحملات النصرانية في الشمال الأندلسي، فكيف كان الصراع العسكري الموحدي الصليبي في بلاد الأندلس وأهم وأبرز المعارك بين الدولة الموحدية و المماليك النصرانية ؟

ومن أهداف الدراسة هو:

– أهمية الفترة التاريخية للأندلس في العهد الموحدي، في الدراسة المتفحصة بتاريخ الغرب الإسلامي ومعالجة مشكلة التراجع القوى الإسلامي بالخصوص.

–السعي لفهم إهتمامات الدولة الموحدية ومكاسبها التي حققتها في بلاد الأندلس.

–العبر التي يمكن أن نستقيها من دخول الموحدين من حيث الظروف والأسباب ثم النتائج التي ترتب عن سقوطها. فنسقطها على واقعنا الحالي.

–إبراز دور الجمعيات الدينية العسكرية وبابا الكنيسة الكاثولكية في روما في ترسيخ الروح الصليبية في نفوس الجيوش النصرانية والتي كانت السبب الرئيسي في إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي لسرد الأحداث وتحليلها مدعما بآلية الوصف التي ساعدتنا في سرد مجريات المعارك وإستعراضنا جل الأحداث التاريخية.

النتائج والتوصيات:

لم تكن دولة الموحدين لتدخر جهدا في مناورة النصارى، فقد بذل الأمراء الموحدين كثيرا من الجهود في إذكاء جذوة الجهاد وحاولوا فرملة الزحف النصراني على الحواضر الأندلسية.

كما تميزت الدولة الموحدية عن غيرها من الدول التي حكمت الأندلس كونها إستطاعت فرض وجودها، وهذا ما نلاحظه في علاقاتها مع مختلف مماليك النصرانية، فقد فرضت نفسها في مختلف الإتفاقيات سواء السياسية أو التجارية أو العسكرية. وأضاف الموحدون بإنتصاراتهم في معركة الارك سنة 591هـ/1195م مجدا جديدا إلى سلسلة إنتصاراتهم أسهم في إعلاء سمعتهم العسكرية والدفاعية، ورغم الإنتصارات التي حققها الموحدون إلا أن معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م كانت بداية هزيمتهم وإنحطاطهم في مختلف المناطق.

يعتبر هذا البحث مقدمة لإثبات أن الصراع الموحدي النصراني ما هو إلا إمتداد للحروب الصليبية في الشرق، كما هي حرب لتعريض ما خسره المسيحيون من ممتلكات في القسطنطينية.

الكلمات المفتاحية: معركة الأرك، معركة حصن العقاب، الصراع الموحدي الصليبي في الأندلس.

ABSTRACT :

The Almohad state is one of the largest Islamic countries in the history of the Islamic West,growing up in the Islamic Maghreb ,and then expanding to Andalusia ,which has played major role in countering the crusades in the North of Andalusia .

One of the objectives of the study is :

the importance of the historical period of Andalusia during the reign of Almohad, in the examined study of Islamic west history and addressing the problem of the decline of Islamic powers in particular .

seeking to understand the interests of the Almohad state and its gains achieved in Andalusia.

The lessons thats can be derived from the entry of Almohads in terms of circumstances , causes and then the consequences of their fall .we drop it on our current reality .

Highlighting the role of military religions associations and the Pope of catholic church in Rome in entrenching the crusade's soul in the christian armies ,which was the main reason for ending the Islamic presence in Andalusia .

The approach taken in this study is the historical approach to recounting and analysing events , supported by the descriptive mechanism that has helped us to recount the course of battles and review most historical events .

Conclusions and recommendations :Almohad state would not have spared any effort in the manœuvre of the christians .The Almohad princes made many efforts in fuelling jihad and tried to brake the christian encroachment on Andalusian cities .

The Almohad state was also distinguished from other States that ruled Andalusian ; for it was able to impose its presence,and this is what we note in its relations with various monarchs of christians, it impose dit self in various agreements whether political, commercial or military .The Almohad added a new glory to their victories and their winning streak in the battle of Aracos the year 591 hijri /1195 ad .Thus contributed to their military and defence reputation .

Despite the victories Almohad achieved,the battle of Las Navas de Tolosa the year 609 hijri / 1212 ad was the beginning of their defeat and degradation in various regions .

This research is a prelude to demonstrating that the almohad_christian conflict is only a prolongation of crusades in the east. As it is a war to compensate for the loss of property lost by Christians in constantinope.

Keys words : The battle of Aracos.The battle of Las Navas de Tolosa.The Mohad _christian conflict in Andalusia.

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الصراع المذهبي الصليبي في الأندلس (م13-م12/هـ7-6)

إعداد الطلبة:

1- حابت سناء ..... رقم التسجيل: 2104310653

2- بسعيلة بغدادي ..... رقم التسجيل: 1928012029210541003

القسم: التاريخ **الشعبة:** التاريخ **التخصص:** تاريخ الغرب الإسلامي.

إشراف: مرزوق بتة **الرتبة:** أستاذ التعليم العالي.

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2022-2023 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

مرزوق بتة

رئيس فريق الاختصاص

إسماعيل بوكات

رئيس القسم

رئيس قسم التاريخ

د/بوقرولة عبد المالك

Scanned with CamScanner

تم بحمد الله